مجلة شهرية

نـــور يسوع المسيح المسيح
Φ Ω Σ الله ـالب XPIΣTOY

Issue No: 94 :عدد
June 2015 حزيران

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ. Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 . Cana of Galilee 16930. website:www.lightchrist.org

القدّيس يوحنا الرّوسيّ الصانع العجائب

إنَّ الذي دعاكَ من الأرض إلى المساكن السماويّة
حَفظَ جسدك بعد الموت سالماً أيّها المغبوط
لأنّكَ يا يوحنا وأنت مأسورٌ في آسيا
حافظتَ على محبّتك للمسيح
فإليه تضرّع أن يخلّص نفوسنا

زيّاحُ مهيبٌ لجسد القدّيس يوحنا الرّوسيّ في بلدة پروكوپي في إيڤيا - اليونان

محتويات العدد

2	رحلة العودة - بركات التأمل
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث
4	ميمر عيد العنصرة
6	الإنسان عند القديس يوحنا الدمشقي
8	ما حقيقة السحر والأعمال والعرافة
10	مفهوم الشرّ عند القديس باسيليوس الكبير
11	الصياغة وصناعة المجوهرات في العهد القديم
12	القديس يوحنا الروسي الصانع العجائب
16	آباء الكنيسة والعهد القديم
18	القناعة كنزٌ لا يفنى
19	لا يجب أن يكون ... للقديس پايسيوس الآثوسي
20	في الأهواء الثمانية للقديس كسيانوس الرومي
21	الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور
22	العظات الثمانية عشرة للقديس كيرللس الأورشليمي
23	العهد القديم (٧٨)
الغلاف الأخير	هل تشحذ آلتك
الغلاف	القديس يوحنا الروّسي

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الهي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

رحلة العودة

أرسلَ نوحٌ الحمامةَ لتفقدَ الأحوالَ على الارض.

«فَلَمْ تَجِد الحَمَامَةُ مَقَرّاً لرِجْلِها ، فَرَجَعَتْ إليه إِلَى الفُلْك لأنَّ مِيَاهًا كَانَت عَلَى وَجْه كُلِّ الأَرْضِ. فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهَا وَأَدْخَلَهَا عِنْدَهُ إِلَى الفُلْك (تكوين ٨:٩).

ما أجمل هذه الكلمات المُحييَةَ وما تحمله من تأملات روحيّة عميقة جداً.

إنَّ النفوس النقيةَ والبسيطة كالحمام، لا تَجدُ لأرجلها مَقراً بين أمواج هذا العالم المضطرب ، ولا يسعدها أنْ تتردّدَ بين الجيَف النتنة، بل مقرّ راحتها الوحيد هو صدر حبيبها المسيح، حيث تَهرَعُ إليه. فَيَقْبَلُها إليه ويُريحُها من مَتاعبها.

فهو وحدَه فُلكُ النجاة ...

هؤلاء الذين أتعبتهم أمواج العالم، وحاولَ اليَمُّ أنْ يُغْرِقَهُم فأسرعوا إلى فُلْك رَبّهم وحبيبهم، فأمسكهم بيمينه وأدخلهم إلى حجَاله، وحينئذ حقّ لكلّ واحد منهم أنْ يترنّمَ قائلاً: «أَدْخَلَنِي المَلِكُ إلى حِجَالِه . نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ بِكَ» (نش ١:٤). قد يسمح اللّه بانتقال بعض أحبائنا من هذا العالم، فلا ينبغي أنْ نحزن عليهم كالباقين الذين لا رجاء لهم.

فالربّ لا يحب أن يطول مَكْثُهُمْ في أرض يغمرها طوفانٌ من التَعَب والهموم وفيضانات مدمّرة من المحَن والآلام. إنما يُدْخِلُهُمْ إليه في المجد.

وكما امتدتْ يدُ نوحٍ وأدخَلَت الحمامة إلى الفُلك لنجاتها وحياتها واستقرارها، تمتدّ يد حبيبنا السماوي لتأخذَ نفوسَ أولاده إلى ديار النعيم والخلود.

إعلَمْ أيّها الإنسانُ. أنَّ حياتَنا هنا كغرباءَ على الأرض هي رحلةُ عودة إلى وطننا الأصلي في السماء. نحن لا نستطيع أن نفصل بين حادثةً الموت وحادثة القيامة. فهما وجهان لعملة واحدة.

الموت (هو آخرُ عدوٍّ) ولكنَّ خلفَهُ (أعظمَ حبيبٍ) وهو القيامَةُ

البارُ نوحٌ يحمل بين يَديْه الفُلك ،الذي يرمز الى سفينة الخلاص، الكنيسة ، جسد المسيح السريّ، هذه الكنيسة المبنيّة على صخرة الإيمان، والصخرة هي المسيح الغالب والظافر الحائز وَحْدَهُ عدمَ الموت، الذي ينقلنا الى فردوس النعيم من اجل عظيم محبّته التي لا تُسْتَقْصَى لنا نحن جنسَ البشر.

بركات حياة التأمل للقديس باسيليوس الكبير

حياة التأمل:

✚ «الذي يُفَضِّلُ أنْ يتحرّرَ من رباط هذا العالم فَلْيَهْرُبْ من الشهوة، مثلَ مَنْ يهربُ من الأسر، والقيود الثقيلة ... وعندما يصير مُحبّاً لله مُفَضِّلاً بقَدْر استطاعته أن يتَمسّكَ بالطَهارةَ الروحانيّةَ والهدوء والتواضع ويشتهي أنْ يتذوّقَ السرورَ (الفرح الروحي) الناتَج من هذه الأمور.»

✚ «ويجتهد أنْ يُبْعِدَ أفكارَهُ عن كلِّ ما يضرُّ النفسَ. ويُفتش عن الأعمال المملوءة مجداً، ويتطلّع لله بعينين نقيتين من الضلال، وحينئذ يشبعُ من لذّة المجد».

✚ «وعندما يجاهد الإنسانُ (من خلال ممارسة وسائط النعمة كلِّها) لكي تكونَ نفسه في هذه المرتبة، فهو يكونُ متشبّهًا بالمسيح ومُلْتَصقًا به، حسبَ الإمكان، ويصيرُ محبوبًا من الله».

✚ «فيجب على الإنسان أن يُجاهد حتى يستحق أنْ يرتفع الى علوِّ الفضيلة. ولا يَنْسرقَ دفعةً أخرى، وينحدرَ الى الحركات الجسديّة والأوجاع العالميّة. ولا يقبل الدخان الذي يصعَد من آلام الجسد (شهواته) لئلا يسقط من النظر الروحاني، الذي هو الامتزاج بأمور الله، وأعماله المملوءة مجداً».

كلمة صاحب الغبطة
بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس
ثيوفيلوس الثالث
بمناسبة عيد القديسين العظيمين
قسطنطين وهيلانة - ٢٠١٥/٦/٣

«السلامُ عليكَ يا قسطنطين الكليّ الحكمة. يا ينبوع استقامة الرأي. الذي يروّي كلّ المسكونة دائمًا بسواقي مياهه العذبة. السلام عليك يا جَذْراً نَبَتَ منه الثمرُ الذي يُغَذّي كنيسةَ المسيح. السلام عليكَ يا فخرَ الأقطارِ المجيد واولِ الملوك المسيحيينَ. السلام عليك يا فَرَحَ المؤمنين» .

«ان شَوقَك لعجيبٌ وسيرَتَك لفاضلةٌ. يا فخرَ النساء هيلينةَ المجيدةَ: فإنّك لَمّا بَلَغْت الاماكنَ التي اقتَبَلَتْ آلامَ سيّد الكلِّ الموقّرةَ. زَيّنْتها بهياكلَ جميلةٍ تهتفين قائلةً: يا شعبُ ارفعوا المسيحَ إلى الدهور» .

أيها الأخوةُ الأحباءُ.

أيها المؤمنون ، والزوّار الحسنُو العبادة .

تفرح اليومَ كنيسةُ المسيح المقدّسةُ وخاصةً الكنيسة الأورشليمية بهذا العيد الاحتفالي البهيج، للقديسين العظيمين قسطنطين وهيلانة المعادلَي الرسلَ. المعتَبَرَيْن من أعظم المحسنين للأماكن المقدسة في هذه الأرض المباركة.

لقد قام الملك قسطنطين العظيم، المُحَنَّكُ والمعترَفُ باقتداره وحنْكَته وأيمانه بدور ريادي: فقد أعلن جهاراً أن الدين المسيحي هو دينُ الإمبراطورية الرومية، وقد حافظ على ديمومة هذه العقائد الخلاصية، عندما ترأّسَ المجمعَ المسكوني الأول في مدينة نيقية سنة ٣٢٥م للدفاع عن هذا الإيمان الروميّ الأصيل، وتوّج أعماله عندما قام ببناء كنائس عظيمة في الأماكن المقدسة التابعة لسرِّ التدبير الإلهي في الأرض المقدسة ، من خلال المساعي الحثيثة التي قامت بها والدته القديسة هيلانةُ المُوَقَّرَةُ. لتُصْبحَ هذه المحطات الأيمانية الفريدة التي قام بها الملك قسطنطين **الختم للهويّة الخاصة للجنس الجديد بالمسيح الروميوسيني .**

إنه من خلال واقع الحياة التي تعيشها المسكونة في أيامنا الحاضرة، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط، يبرز دور المسيحيين المُلْتَفّينَ بإيمانهم حول الكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية؛ والتي تُعْتَبَر الجسمَ الحَيّ للمسيح ، والتي يَشِعُّ منها نورُ الحقّ والحقيقة، هذا ما أعلنه قديسنا الملك قسطنين إذ يقول: «كَوْنُنَا محافظين على الإيمان المسيحي، عندها أنا أربَحُ النور الحقيقي، إذ أنا مُقادٌ من نور الحقيقة، لذا فأنا أملُكُ ضمير الإيمان الإلهي» (أقساپيوس كتاب ٤ ، فقرة ٩ ـ ثيودوريتوس: كتاب ١ ، فصل ٢٤).

إنَّ شهادة هذا الإيمان للقديسَيْن اللّذَيْن تُوِّجَا كملائكة من اللّه، ألا وهما الملكان العظيمان قسطنطين وهيلينة ؛ مازالت تتألق وتشعّ بالأقوال والأفعال منذ أكثر من ألْفَي عام ، ومنذ بدء المسيحيّة، من خلال أصالة الكنيسة الأورشليمية المقدسة ، بطُغْمَة أخوِيّة القبر المقدس التي تَسَلَّمَت هذه الوديعة من خلال العنايةِ الإلهية ، والتي تشمل الحفاظ على الأماكن المقدسة، ورعايتها وإقامة الشعائر الإلهيّة فيها.

إنّنا نحن الإكليروس والشعب الحامل لاسم المسيح ، نقدم كل شكر وتقدير ، من باب الواجب والاستحقاق كوننا نُكنُّ كل تبجيل وإكرام لهذا التذكار المقدّس للقديسَيْن العَظيمَيْن قسطنطين وهيلينة.

نتضرّع إلى ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، الذي صعدَ عنا بمجد إلى السماء ، وكذلك لوالدة الإله الدائمة البتولية مريم، وشفاعاتِ القديسَيْن قسطنطين وهيلينة، أن يتحقّق الإيمان القويم في ربوعنا ليستقرَ فيه الوئامُ والإنسجامُ ، ويعمُّ السلام في العالم أجمع ، وفي منطقتنا بوجه خاص الذي يعيش بالتجارب والضيقات، آملينَ أن نَحْظَى بالبلسم الشافي من الطبيب السماوي ، آمين

كل عام وانتم بخير

الداعي بالرب

البطريرك ثيوفيلوس الثالث

بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

ميمر عيد العنصرة

مخطوطة من دير القديس مكاريوس الكبير في النطرون.

للأنبا بولس البوشي

بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد.

أيها الروحُ القدسُ المنبثق من الآب، الملك السماوي روح الحقِّ الحاضر في كل مكان وصقع، مالىء الكل ، كنز الصالحات، ورازق الحياة، هَلُمَّ واسْكُنْ فينا وطهِّرْنا من كل دنس، وخلِّصْ أيُها الصالحُ نفوسَنا.

كما كنتَ مع رُسُلكَ القديسينَ كُنْ معنا أيها السيّدُ القدوسُ، وقدِّس القديسين، وطهِّر أجسادنا، وَذكِّي عقولنا، وأضئ نفوسَنا. يا مَن منح الأُمِّيِّين حكمةً فاضلة حتى صاروا معلِّمين ومُرشدينَ لكل المسكونة، امنح عبيدك تدبيرًا يؤولُ إلى الحياة المؤبدة، أيها الروح المُحيي، لكي بك نحيا وَتَخْلُصَ نفوسُنا.وهَب لي أنا الحقير أَنْ أتكلمَ بكرامتك، أيها الروح الحقُّ المتكلِّمُ في الناموس والأنبياء والقديسين إلى الأبد. أعطني معرفةً، يا مَن يُعطي كلَّ المواهب الفاضلة، لكي أُعلنَ مجدك المساويَ مع الآب والابن في الجوهر والقدَم والأزلية. ألهمني مَنطقًا يا مَن ولدْنَا ميلادًا ثانيًا لا يَبْلَى لرجاءِ حياة لا تَفنى، وبها نجسُر وندعو الله أبانا، لكي أنطقَ بجلالة كرامتكَ وقوة أفعالكَ الكائنة في كل مكان.

أيها الروح القدس المنبثقُ من الآب أبديًا، وهو مستقرٌّ في الابن أزليًّا سرمديًا، بوحدانية الجوهر، بلا ابتداء ولا انتهاء. أنت هو روح الحياة، روح النُّبُوَّة، روح الطهارة، روح العَفاف، روح القوة، روح المواهب الفاضلة الكثيرة الأنواع، روح الرسالة، روح البُنُوَّة، روح البتولية، روح القداسة، روح المعرفة، روح الحكمة، روح الثبات، روح الصبر، روح الإيمان الفاعل بكل سلطان وقوة وجبروت، ليس كالخادم، بل كالمسلَّط الحاضر مع كل واحد وكائن في كل مكان، المحتوي على الكل ولا شيء يحويه، القوي الذي لا يُمانَع، والفاعل على المالك (أي على الحال عليه)، الذي لا ينحاز ولا يُعانَد.البسيط في طبعه، العظيم في أفعاله، الجبار في اقتداره، معدن العطايا الفاضلة، وينبوع المواهب العالية، المُعطي نُطقًا للأنبياء، وبُشرى للرُّسُل التَّامِّين، وتشجيعًا للشهداء، وعفة للبتوليين، ونُسكًا للقديسين. الفاعل في رتبة الكهنوت، ويُولد (أي يلد) المتعمِّدين بنينَ لله الآب السماوي. وبواسطته تكملة الذبيحة من مشارق الشمس إلى مغاربها، ومن الشمال إلى اليمين. روح البرِّ والحقِّ، البارقليط المعزِّي المنبثق من الآب، كما سلَّمتَ إلينا الأمانة الأرثوذكسية. نسجد لك ونمجدك مع الآب والابن، وهكذا نؤمن أن الثالوث القدوس لاهوت واحد، لأن الله متكلمٌ حيٌّ لم يَزَلْ.

فإذا قلنا الله فإنما نقولُ: الآب والابنُ والروحُ القدسُ؛ لأن الخواصَ لا تزيد عن ذلك، ولا تنظم أقل من هذه، ولا نكون أيضًا مع ذلك نعبد ثلاثة آلهة، لئلا نكون كالوثنيين الذين يقولون بكثرة الآلهة، ولا نكون أيضًا كاليهود الذين يَجحدُون كلمةَ الله وروحَهُ... وهذا ذَكَرْناهُ باختصار عن الثالوث القدوس، هذا الذي كان رمزًا في كتب الأنبياء، وظهر الآن بالتجسُّد العجيب (لابن الله). فنقتصرُ الآن من هذا ونرجعُ إلى ما تكلَّمنا فيه أولاً، وهو شرفُ هذا العيد المجيد، أعني البارقليط المعزِّي، روح القدس المتكلِّم في الناموس العتيق، والأنبياء الأطهار، المذكور ببيان في التوراة والأنبياء، كما هو مكتوب في بدء سفر الخليقة: «في البدء خلق اللهُ ذاتَ السماء وذاتَ الأرض، وكانت الأرض خالية خاوية، وكانت الظلمة غاشية وجه الغمر، وروح الله يرفُّ على المياه» (تك١:١-٣) ... ومكتوب في السِّفر الثاني الذي يُسَمَّى سِفْرَ الخروج: «وكلَّم الرب موسى وقال له: إعْلَمْ أني انتخبْتُ بصلئيل بْنَ أوري بْنَ حور من سبط يهوذا، وأسبغْتُ عليه روح القدس، وملأتُه من الحكمة من العلم في كل عمل ليعملَ... كلَ الأعمال التي أمرتُكَ لصَنعة القُبَّة (أي خيمة الشهادة)» (خر٣١:٢-٥)...وأيضًا مكتوبٌ لما مسحَ صموئيلُ داودَ ابن يسَّى مَلكًا، ووضع عليه اليدَ وصلَّى عليه، حلَّ عليه روح القدس فتنبأ وبدأ يقولُ المزاميرَ من ذلك اليوم (١صم١٦:١٣). وأنَّ روحَ الله انتُزِعَ من شاول الملك، عندما خالف كلمةَ الله ولم يعمل بها (١صم١٦:١٤)، ولأجل هذا الروح، كان داود يتضرع إلى الله عندما أخطأ أن يُجدِّده فيه بالنُّبوَّة، لئلا يناله ما أصاب شاول الذي تقدَّمه، فتاب بقوة ورجع رجعة فاضلة وكان يتضرع قائلاً: «قلبًا طاهراً أُخلُق فيَّ يا الله، وروحًا مستقيمًا جدِّدْهُ في أحشائي، لا تطرحني من يديك ولا تنزعْ عني روحَ قدسكَ، أعطني بهجة خلاصكَ وبروحك القادر ثبِّتني» (مز٥٠:١٠). وقال: «روحُكَ الصالحُ يهديني إلَى سُبل الاستقامة»(مز١٤٢:١٠). وقال أيضًا من أجل الروح: «فتحتُ فايَ واستنشقتُ روحًا، لأني أحببتُ وصاياك» (مز١١٨:١٣١).وإشعياء يقول: «منذ بدأتُ لم أتكلم في خفية، بل أرسلني وروحه» (إش٤٨:١٦). وقال: «روح الله، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة والبرِّ، الروح الذي يلهم مخافة الله» (إش١١:٢). وقال: «روح الربِّ عَلَيَّ من أجل هذا مسحَني وأرسلني» (إش٦١:١)...

والآن نتكلَّم على فعل الروح مع الرُّسُل الأطهار، ونُبيِّن ما التفاضُلُ الذي بَيْنَهُم وبين الأنبياء، لأن أولئك (أي الأنبياء) كانوا

يتكلَّمون في حين (أي ليس في كل وقت) عند حلول الروح عليهم، بما هو مُزْمِع أن يكون لا غير؛ فأمَّا الرسل فكان الروح حالا فيهم دائمًا مستمرًا ، وذلك لأنهم تقلَّدوا تدبيرَ كلِّ المسكونة بالبُشرى الإنجيلية، والتعليم والتعمُّد، ووضع يد الرياسة وفعل الآيات. كما شهد الرب لهم بذلك قائلاً: «إني معطيكم البارقليط يَثْبُتْ معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يطيق العالم أن يَقْبَلَهُ، لأنهم لم يَرَوْه ولم يعرفوه، وأنتم تعرفونه لأنه مُقيمٌ عندكم وهو ثابتٌ فيكم» (يو١٤: ١٦)... هذا الذي بدأ ربنا يسوع المسيح، له المجد قبْلَ آلامه يُعرِّفُ رسلَهُ بجلالة مواهب الروح، ويُعزيهم وَيُثَبِّتُ قلوبهم بإتيانه إليهم قائلاً: «والبارقليط روح القدس الذي يُرسله الآب باسمي، هو يعلِّمكم كل شيء، وهو يُذكِّركم كلَّ ما قلته لكم» (يو١٤: ٢٦). وقال أيضًا: «إذا جاء البارقليط، روح الحقّ الذي من الآب ينبثق، هو يشهد لي، وأنتم تشهدون لي، لأنكم معي من الابتداء» (يو١٥: ٢٦–٢٧). ثم قال: «ولكني أقول لكم الحقَّ: إنه خيرٌ لكم أن أنطلق، لأنِّي إنْ لم أذهب لن يأتيكم البارقليط» (يو١٦: ٧). أعني أنه لما كان هو معهم كان يُثَبِّت قلوبهم ويرشدهم إلى الأشياء شفاهًا، وبه وجدوا عزاءً في رفض العالم، فلما صعد كان من عَدْلِه أن يُرسلَ لخواصِّه البارقليط، الذي تفسيره المعزِّي، ليكون ثابتًا معَهم، ويجدوا به عزاءً وسلْوى ومجاهدةً في البُشرى. قال: «وإن انطلقتُ أرسلتهُ إليكم» (يو١٦: ٧)، لأنَّه هو مع أبيه واحدٌ. ولكي يُعرِّفَهم ونحن معًا محبتَه فيهم واهتمامَه بهم، قال: «وإذا جاء ذاك فهو يُوَبِّخ العالم على الخطيئة،وعلى البرِّ، وعلى الدينونة» (يو ١٦ : ٨)، أعني أن به يقتدرون على التوبيخ والتأنيب وإظهار الإيمان والدينونة العتيدة. وقال أيضًا: «إنَّ لي كلامًا كثيرًا أريدُ أن أقوله لكم، ولكنكم لستم تطيقون حَمْلَهُ الآن» (يو١٦: ١٢)، عرَّفَهُم ضعفهم البشري عند معرفة الكمال. قال: «فإذا جاء ذاك، روح الحق، هو يُرشدكُم إلى جميع الحقِّ» (يو١٦: ١٣). قوله: «**روح الحق**» لأن الآب يُسمَّى «الحق» لقول الربِّ: «ليعرفوك أنك أنت الإله الحق والرب يسوع المسيح» (يو١٧: ٣). وقال عن نفسه: «أنا هو القيامة والحق والحياة» (يو١٤: ٦)، وها هنا قال: «**روح الحق**» ليُبيِّن المساواة الواحدة التي للثالوث القدوس في وحدانية اللاهوت. ولم يُعلن الروح لرسله فقط، بل للجميع أيضًا، كمثل قوله لنيقوديموس: «الحقَ الحقَ أقولُه لك: إن مَن لم يولد من الماء والروح لا يُعاين ملكوت الله» (يو٣: ٥). وأيضًا في وسط الجمهور في اليوم العظيم عندهم، الذي هو آخر يوم في العيد، كان يُنادي ويقول: «مَن كان عطشانًا فليُقْبِل إليَّ ويشرب. كلُّ مَن يؤمن بي، كما قالت الكتب، تجري من بطنه أنهار ماء الحياة» (يو٧: ٣٨)، قال الإنجيل: «إنما قال الربُّ هذا عن الروح، لأن الذين يؤمنون به مزمعون أن يقبلُوه» (يو٧: ٣٩). وحتى بعد القيامة وعند صعوده أوصى رسله الا يبرحوا من أورشليم حتى يَتَدرَّعُوا القوةَ من العلاء (أع١: ٤). فمكثوا منتظرين الوعدَ السماوي إلى كمال الخمسين.

هَلُمَّ إليَّ في وسطنا اليوم أيها الإنجيلي القديس لوقا، وأخبرنا كيفية حلول روح القدس على الرسل الأطهار. قال: «لما تَمَّتْ أيام الخمسين» (أع١)، أعني بعد قيامة الرب بخمسين يومًا، وهذا اليوم عند اليهود هو عيد العَنْصَرة، وفيه كلَّم الله موسى على جبل طور سينا بنار تضطَّرمُ، وأعطاه الناموس والوصايا، فكان المثال موافقًا للحق والكمال، كما أنَّ فُصْحَ المثال موافق لفُصْحِ الحقِّ والكمال أيضًا. وقال:«وكانوا مجتمعين بأسرهم جميعًا»، أعني آباءنا الرسل الأطهار حافظين وصية سيِّدهم، ألاَّ يبرحوا حتى يلبسوا القوة السماوية. قال: «وكان من السماء بغتةً صوتٌ كصوت الريح الشديدة»، أعني صوت هبوب الروح نازلاً من السماء، وبيَّن سرعته وقوته ليُعلنَ أنها قوة إلهية لا تُعانَد. قال: «فامتلأ منه جميع ذلك البيت الذي كانوا جلوسًا فيه» ، أعني أنه إليهم خاصةً أتى، وأنَّ هذه الموهبة الفاضلة عليهم خاصةً حلَّت دون أهل العالم، كقول الرب لهم: «إني لستُ أمنحكم كما يمنح العالم» (يو١٤: ٢٧). قال: «وظهرت لهم ألسنة منقسمة شبه النار»، أعني أن الروح مساوٍ مع الآب والابن في الجوهر، ذلك الذي ظهر بشبه نار تضطرم في هذا العيد ذلك الزمان. وكلَّم موسى في طور سينا وأعطاه الناموس. وهكذا بهذا المثال ظهر للرسل الأفاضل، واضعي أساس البِيْعَة. وأعطاهم قوة الكمال للناموس الجديد الدائم إلى الأبد. قال: «فاستقرَّ على كلِّ واحد منهم»، فيا لهذا العجب كيف النار غير الهيولية، والتي منها تستضيء كل الأنوار، حلَّ على قوم بشريِّين ولم يحرقهم؛ بل زادهم قوةً وشرفًا وفضلاً، حتى غلبوا كل الطبائع من النار المُحرقة والسموم وكل شيء أُخضع لهم. قال: «فامتلأوا كلهم من روح القدس»، بَيَّنَ ها هنا المساواة التي صارت للرسل في قبول الروح. قال: «فبدأوا ينطقون بلسان كما كان الروح يؤتيهم النطق» ، بَيَّنَ شرف الموهبة التي صارت للرسل أفضل من الذين كانوا قبلهم، ومن الذين يأتون بعدهم أيضًا، وإلى الأبد لا يكون مثلهم. وكيف نطقوا بألسنة لم يكونوا أَلفوها ولغات لم يكونوا يَعْلَمونَها. وليس ذلك من تلقاء أنفسهم، بل كما كان الروح المُسلِّط، يهب لهم أن ينطقوا بذلك من حيث لا يعرفون كيف يأتيهم النطق، ليتمّض المكتوبُ أنَّ: «لساني مثل قلم الكاتب» (مز٤٤: ١)، يعني أن القلم ليس له سلطانٌ أن يكتب، بل الكاتب يكتب به كما يشاء. ومَن هو الكاتب؟ قال: «بهيٌّ في الحُسن أفضل من بني البشر» (مز ٤٥ : ٢) ، أعني الربّ الذي تجسَّد، وإن كان ظهر بالجسد كالإنسان، فإن بهاء لاهوته يفوق كل البشرية.

بابل الكلدانيين فيها فرَّق الله الألسُنَ، اليوم ائتلف لوضع سُنَّة الخلاص كما قال إشعياء: «إنَّ كلمة الله تظهر بأورشليم، ومن صهيون تخرج» (إش٢: ٣). ألسنَةُ بابلَ فيها تفرَّقت الألسُنُ لأنَّ قومها أضمروا أن يبنوا بُرجًا ، ويتعالوا إلى السماء بعظمة وكبرياء، ففرَّق الله لغاتهم وبدَّدهم في كل الأرض. أما عُلِّيةُ صهيونَ ففيها اجتمعت اللغاتُ لتواضُع الرسل الذين بها، واتِّباعهم إثرَ المعلم الحقّ، ليجمعوا الأمم والشعوب المختلفي اللغات ويُصيِّروهم رعيةً واحدةً. بابلُ في ذلك الزمان تفرَّقت فيها الألسنُ وصاروا غيرَ موافقين لبعضهم بعضًا ؛ علِّيةُ صهيونَ فيها اجتمعت كنيسة واحدة مقدَّسة، جامعة رسولية التي أسَّسها الرب برسُله الأطهار.

فينبغي لنا أن نُعيِّد الآن بنقاوة روحانية موافقة للروح، في عيد الروح المعزّي، ليحل فينا ويُطهِّرنا ويُنقينا من أدناسنا، ويحفظ الجسد طاهرًا، لأنه هيكلُ الروح القدس الحالّ فينا. نحَفظُ النفسَ وكلَ الحواس نقيةً لكي يُشارك الروح القدس أرواحَنا ، ونستحق إرثَ البُنُوَّة فَي الملكوت الأبدي. إذ الرسولُ يُعلِّمُنا بمثل هذه الأشياء قائلاً: «فلنَعش الآن بالروح» (غل٥:٢٥)، ونوافقه بروح ضميرنا، وَنَحْذَرْ أنَ نصنعَ ضدّ ذلك لئلا يسخَط الروح، إذ يقول: «لا تُسخطوا روح الله الذي خُتمتُم به ليوم النجاة ، بل كلّ تذمر وفرية فليَنزع ذلك منكم مع بقية الشرور» (أف٤:٣٠-٣١). نرحم أهلَ الفاقة لكي يُكْملَ مسرةَ الروح ونستحقَ الرحمةَ، لأن الرحمةَ تفتـخرُ عَلى الدينـونة، كما يقول يعقوب الرسول (يع٢:١٣). نصنع سلامًا وصُلحًا في نفوسنا المقاتلة مع أوجاع أجسادنا. نعزِّي المتضيِّقين والمحبوسين بافتقادنا، ليكون الروح القدس المعزّي يعضُدُنا ويُقَوِّينا في شدائدنا كالمكتوب: «أَسْنِد الصغيري الروح بكلمة، وتسندك اليمين القوية» (١تس٥:١٤). نغار على السيرة الروحانية ونجسر عليها، هذه التي سلك فيها الآباء الفضلاء لابسي الروح، ونتشبَّه بهم حسب قوتنا، ليكون لنا إرثٌ ونصيبٌ معهم في المظال الأبدية.

ونحن نسأل ربنا يسوع المسيح الذي افتقد رُسُلَهُ الأطهارَ بموهبة روح قدسه أن يُطهِّر نفوسنا، ويغفر خطايانا، ويتجاوز عن سيئاتنا، ويسامحنا بهفواتنا، ويمنحنا سيرةً روحانية بقية أيام حياتنا. ويُنيِّحَ نفوس أسلافنا من كافة بني المعمودية الذين رقدوا على رجاء الإيمان باسمه القدوس، ويجعلنا مستحقين سماع صوته الملوء فرحًا القائل: «تعالوا إليَّ يا مُبارَكي أبي، رِثوا المُلك المُعدَّ لكم منْ قَبْل إنشاء العالم» (مت٢٥:٣٤)، بشفاعة سيدتنا البتول، القديسة الطوباوية مريم الطاهرة ، وكافة الشهداء والقديسين والسياح في البراري والقفار والمجاهدين، ومَن أرضى الرب بأعماله الصالحة، ويُرضيه من الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين وأبد الآبدين آمين .

المقدمة:

الإنسان، هذا المخلوق الفريد والمميَّز، منذ أن بدأ يفكّر كانت من أوائل أسئلته: «**من أنا**»؟ ، وقد تنوعت وتضاربت الأفكار عن هذا المخلوق، من أيام اليونانيين، حتى يومنا هذا للوصول إلى ماهية وجوهر هذا الإنسان. وبين أيدينا نعرض محاولةً لأب من آباء الكنيسة وهو القديس يوحنا الدمشقي، الذي كان بدوره أيضًا متأثرًا بمن سبَقَهُ ومُبْدعًا أفكاره الجديدة محاولاً التعبير عن إيمانه بلغة عقلية منطقية.

١) خَلْقُ الإنسان:

لقد خلق الله الإنسان جوهرًا عقليًا بالإضافة إلى جسم ماديّ، أما الملائكة فهي جوهرٌ عقليٌ فقط، والجسم المادي هذه الكثافة المادية (الهيولَى)، لأن بالنسبة إليه **وحده الله الجوهر العقليّ الخالص**. وَخَلْقُ الإنسان أكبر دليل على حكمة الله، لأنه جمع بين الجوهر العقليّ والحسيّ، فالإنسان هو الصلة بين الطبيعة المنظورة، والطبيعة غير المنظورة، وعندما خلق الله الإنسان، خلَقَهُ «على صورته ومثاله» وجعله عاقلاً حرًا وشبيهًا له بالفضيلة قدر المستطاع. والإنسان هو وسط بين العظمة والضِّعة، وهو روحٌ وجسدٌ في الوقت ذاته، روحٌ بالنعمة وجسدٌ بالأصل، **لماذا** ؟ لكي يبقى يُمجّد الله خالقه، ولكي يشقى هنا في هذه الحياة الحاضرة، وهناك في الحياة الثانية، حيث المكافأةُ ونهاية السِّرِّ ، يتألّه بانقطاعه إلى الله بإشارة رضًى منه تعالى، والتَّألهُ يعني عنده اشتراك في الضياء الإلهي، لا انتقال إلى الجوهر الإلهي.

وخلقَ الله المرأة عونًا للذَّكَر على قيام الجنس بالولادة خَلَفًا عن سَلَف، فإن الجبلَّةَ الأولى تسمَى تكوينًا لا ولادة، هكذا كان الخلقُ عند القديس يوحَنا الدمشقي.

٢) خطيئة الانسان الأول و إنقاذ الله له:

و صنع الله الانسان بلا خطيئة طبعًا، وذا إرادة مطلقة الحرية؛ ويقصد الدمشقي «**بلا خطيئة**» ليس أنّه منزَّهٌ عن الخطيئة، فالإله وَحْدَهُ مُنَزَّهٌ عن الخطيئة، بل أن الخطأ لا يأتي من طبيعته بل بالأحرى من اختياره. وعليه لما كان الله قد زين الإنسان طبيعيًا بمشيئة حرّة، فإنّه وجَبَ أن يمتحن الإنسان أولاً، والإختبار يكتمل في حفظ الوصية وهي ألاَّ يذوق من شجرة المعرفة. فإن حافظ على الوصية، يَحْيَ للأبد وينَل الغلبة على الموت. لكنه إذا أخضع النفس للجسد، وآثر الملذات الجسدية، وتناسى كرامته الخاصة، واحتقر أَمْرَ إلهه فأصبح عُرضَةً للموت والفساد، فلقي العذاب والحياة الشقيةَ، فكانت سقطته اختيارية، عكس الملائكة الذين

اختاروا الخير بحريتهم. بيد أن المتحن الذي أعطاه الوجود لم يهمله، بل أدّبه أولاً بتأديبات شتى فاستدعاه بالإنذار والتخويف، من طوفان نوح، وبلبلة الألسن وتشتيتها، وبحريق المدن وبآيات، وعجائب وقوى مختلفة بالشريعة والأنبياء. وكان المقصود من هذه كلها إزالة الخطيئة المُتَغلغلة بطرق شتّى. ثم إعادة الإنسان إلى حُسن الوجود.ولما كان الموت قد دخل إلى العالم بالخطيئة دخولَ بهيمة وحشية شرسة مفسدة للحياة البشرية، فقد وجب على من يفتديه أن يكون منزَّهًا عن الخطيئة، وغير محكوم عليه بالموت جراء الخطيئة، بل عليه أن يعضد طبيعته ويجدّدها، ومن ثم فإن الله الآب قد ارتضى ، والأبن الوحيد الجنس كلمة الله والإله الكائن في حضن الله الآب، المساوي للآب والروح القدس في الأزلية، وعدم الابتداء والكائن في البدء، والكائن عند الله الآب، قد خفض علاه بلا انخفاض، وانحدر إلى مستوى عبيده انحدارًا يُعْجزُ البيانَ والإدراكَ ـ وهذا ما تعنيه كلمة نزول بالنسبة إليه ـ وبهذا أضحت الطبيعة البشرية بعد أن اتخذها المسيح هي المنتصرة على الشيطان.

٣) النفس والجسد عند الإنسان

أ–النفس:

النفس جوهر حيٌّ بسيط لا جسميّ، أي لا مرئية، والنفس خالية ناطقة وعاقلة لا يمكن تصويرها، أي أنّه أعطى للنفس كل الميزات الإنسانية، الفارقة بين الإنسان والحيوان، والعقل في النفس، لا يتميز عنها بل هو جزؤها الأنقى. وتكمن حرية الإنسان في النفس لأنها مطلقة الحرية، وهي التي تريد وتأمر وتتحول وكل هذه الأطباع نعمة من مُبْدِعها.

ب ـ الجسد:

الجسد هو شكل متجسد في الطول والعرض والعمق (والإرتفاع)، وهذا الشكل يتجسد من **عناصر أربعة : الأرض، الماء الهواء، والنار.** التي تقابل الأخلاط الأربعة من الجسم: المرارة السوداء، البلغم، الدم، والمرارة الصفراء. والإنسان يشترك مع الحيوانات والجوامد بهذه العناصر والأخلاط، فإنه يقسم النفس إلى ثلاثة أقسام:

١) النفس النباتية:

وظيفتها التغذية والنمو والتناسل (لا تخضع للعقل).

٢) النفس الحيوانية:

وظيفتها الحركة في الاندفاع والحس (بعضها يخضع و بعضها لا يخضع للعقل).

٣) النفس الإنسانية:

وظيفتها التفكير والنطق (تخضع للعقل).

ج ـ اختصاصات النفس والجسد:

يُقَسِّم الدمشقي الاختصاصات بين النفس والجسد، فالجسد وظيفته القطع والسيلان والتبديل، القطع فهو ابتعاد الأخلاط بعضها عن بعض، فيتم الانفصال إلى صورة ومادة، والسيلان هو استفراغ اليابسات والرطبات والهواء من الجسم، والتبديل فهو إعادة التعويض، لذلك تحدث الإنفعالات كالجوع والعطش. ويختص بالنفس التقوى والتفكير، أمّا الفضيلة فهي مشتركة بينهما لكن مصدرها هو النفس لأنّها هي التي تقود الجسد.

٤) الإرادة والحرية والفضيلة عند الإنسان:

أ ـ الحرية والإرادة:

خلق الله الإنسان حرّاً بطبعه وله الحرّية الكاملة في التصرّف، فالإنسان تُسَيِّره حريته بدافع من إرادته، فالإنسان إذًا مُريدٌ بالطبع، والسَّبَبُ في ذلك أنّ الله حُرٌّ ومريدٌ بالطبع وبما أنّه خلق الإنسان على صورته ومثاله، فقد أورثه هذا الطبع منه؛ وهذا ما يميّز النفس الإنسانية عن النفس الحيوانية والنباتية، لأنّ من طبيعة النفس الإنسانية العاقلة والناطقة أن تكون حرّة، والحرية ليست سوى الإرادة، فإنّه ليس من يحاور في تعليم الإنسان أن يحيا، أو أن يجوع أو أن ينام، لأنّه من الطبيعي مُجبَرٌ على هذا. وقد ظهر لنا كلّ هذا في شخص يسوع المسيح على الأرض الذي قد رسم مشيئتنا في ذاته. لكن الحرية في الله شيء، وفي الملائكة شيء آخر، وفي البشر شيء آخر. فالحرية متساوية إسمًا ومختلفة فعلاً، هي في الله تفوق الجوهر، وفي الملائكة تجاري سرعتهم التنفيذية التي لا يتخللها زمن مطلق، أمّا عند البشر فهي مخلوقة في طبيعتهم من قبَل الله الخالق كلّ شيء. والله يَسْبِقُ وَيَعْلَمُ كلَّ شيء، ولكنّه لا يَسبق ويحدّد كل شيء، وهنا تَكْمُنُ حريةُ الإنسان، لأنّ الله يسبق ويعرف ما هو في استطاعتنا لكنّه لا يحدّده، فهو لا يشاء حدوث الشرّ ولا يُجبر حدوث الفضيلة، وبالتالي لدى الإنسان كامل القوة في الاختيار.

ب ـ الفضيلة:

زَرَعَ الله الفضيلة في طبيعتنا الذي هو بدء كلّ صلاح، وبدون نجدته لا يمكننا أن نريد الصلاح، أي أنّ الفضيلة غريزيّة في الإنسان. وهي من الله الكامل الصلاح، وقد أعطانا الله الحرية إمّا أن نستمر في الفضيلة وأن نتّبعه، وإمّا أن ننحرف عن الفضيلة وهذا يعني أن نصير في الرذيلة، ونتبع الشيطان فالرذيلة عنده هي الابتعاد عن الخير كما **الظلام** هو زوال **النور**. وهذا يؤدي إذا ثَبَتْنَا في ما هو بحسب طبيعتنا نكون في الفضيلة، وإذا حدْنَا عمّا هو بحسب طبيعتنا، نؤول إلى ما هو ضدّ طبيعتنا ونصير في الرذيلة. لكنّ الله الكامل الحنان والشفقة شرَّع لنا بابًا ـ إذا ما سقطنا في ما هو مغاير لطبيعتنا (أي الرذيلة) ـ وهو باب التوبة الذي هو طريق العودة إلى طبيعتنا والابتعاد من الشيطان، والاقتراب من الله وذلك بالزهد والمتاعب.

خاتمة:

إذا نظرنا إلى كتابات الدمشقي في ذاتها، نستشف منه تمسّكه الشديد بالعقائد التقليدية، بالإضافة كونه مبتكرًا لامعًا في علم اللاهوت: مبتكرًا بوضعه أوّل مصنّف كامل في هذا العلم، مبتكرًا بمحاولته الموفّقة في التوفيق بين العقل والإيمان، مبتكر بوضعه في خدمة الوحي الفلسفةَ اليونانيةَ ولاسيما فلسفة أرسطو الخالدة، مبتكرًا باستخراجه من كنوز الوحي الكثير من النتائج القيّمة، فكان يوحنا الدمشقي مؤمنًا بحق، وذكيًا بحق أيضًا، وذلك باستخدامه الفلسفة وسيلةً وأداةً لإيضاح الوحي والتعبير عنه .

لماذا تقاوم الكنيسة المسيحية بكل قُوَّة أعمال السِّحْر، والسَحَرَة والمشَعوذين والدَّجّالين ؟

إن أعمال السحر عديدة ومتنوّعة، منها عمل أشياء خارقة للطبيعة، وفوق طاقة عقل الإنسان البشري ومنها مناجاة الأموات، واستحضار الأرواح، وكَشْفُ البخت، ومحاولة معرفة المستقبل وغيرها.

فالسِّحْرُ إذًا وإن اختلف في طرقه وتسمياته أو في وسائل استخدامه، فهو بالنتيجة سحرٌ مؤدٍّ إلى **خطيئة مميتة، ومصحوب بإهانة كبيرة للعزّة الإلهية** . وبالرجوع إلى الكتاب المقدس نجد آيات مصحوبة بأدلة قويّة حرَّمت السِّحْر تحريمًا قاطعًا، على اختلاف أنواعه وذلك لأنّنا بواسطة عمل السِّحْر ندنّس اسم اللّه، ونستعين بالشيطان للقيام بالأعمال التي ينهانا اللّه عنها في كتابه المقدس الذي يقول:«لا تتعلَّمْ أن تفعلَ مثلَ رجْسَ أولئك الأمم. لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار، ولاَ من يعرف عرّافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقي رقية، ولا من يسأل جانًا أو تابعة، ولا من يستشير الموتى، لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب..»(تثنية ١٨:٩-١٢).

ويقول الله أيضًا:«لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع، فتتنجّسوا بهم، أنا الرب إلهكم»(لاويين١٩:٣١). وهناك بعض الآيات من العهد الجديد أيضًا، تحرِّم السِّحْر تحريمًا قاطعًا وتهدّد كل من يستعمله بعذاب أبدي. فنقرأ في سفر يوحنا اللاهوتي: «وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون، والزُّنَاةُ والسحرة، وعبدة الأوثان، وجميع الكذبة، فنَصيبُهُم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت، الذي هو الموت الثاني»(رؤيا ٢١:٨). وأيضًا يقول الله:«طوبى للذين يصنعون وصاياه، لكي يكون سلطانهم على شجرة الحياة، ويدخلوا من الأبواب إلى المدينة، لأن خارجًا الكلاب والسحرة والزُّنَاةُ والقتلَةُ وعبدةُ الأوثان» (رؤيا ٢٢: ١٤-١٥).

كما أن بولس الرسول يحذّرنا من السِّحر ويقول بأن كل من يتعاطى السِّحْر فإنه لا يدخل إلى ملكوت اللّه (غل٥:٢٠). وهكذا نرى أنَّ الديانة المسيحية لا تجيز السِّحْر والشعوذة مطلقًا و أنَّ كل من يستعملها يكون نصيبه في بحيرة النار المتقدة .

ومن **توابع السحر و الشعوذة والأعمال الشيطانية** هناك مايسمى بـ **(فتح الفنجان)**. الكثير من الناس يعتبرون ان فتح الفنجان هو للتسلية وتمضية الوقت، دون ان يدركوا ان فتح الفنجان هو فتح باب للشيطان، للدخول في حياتنا بدون ان نعرف فتصبح تجربتنا و إسقاطنا أسهل بالنسبة له، لأننا نفقد حماية اللّه لنا باتكالنا على البشر فما علينا فعله هو :

أولاً: أن نمتنع نهائيًا عن هذه العادة السيئة (عادة فتح الفنجان ومثلها قراءة الطَّالع) حتى لو كان ذلك من باب المزاح أو المرح فهذا موضوع ليس فيه تهريج.

ثانيًا: اللجوء إلى الأب الروحي بسرعة طلبًا للصلاة على الرأس، فهناك صلاة خاصة لحمايتنا وتخليصنا من مثل هذه الجلسات التي تمنحنا سعادة وقتية مزيَّفة، وتسلب منَّا حياة الشركة الأبدية مع اللّه

سؤال : هل يمكن للشيطان أن يتزوج من إنسان !؟؟

نحن لا نؤمن مطلقًا بهذا الأمر! وليس له أي سند عقيدي أو تاريخي. فلا نعرف أحدًا من البشر يرجع نسبه إلى الشياطين Devils. كما أن مثل هذا الكلام غير مقبول عقليًا. وعليه ردود كثيرة من ناحية العقيدة، نذكر من بينها:

الشياطين أرواح، وليس لها أجساد تتوالد كالبشر. إنهم أرواح بإعتبارهم ملائكة. وقد سماهم الكتاب أرواحًا (لو ١٠:١٧-٢٠). وقال عنهم إنّهم «أرواح نجسة» (متى١٠:١). وأنّهم «أرواح شريرة» (لو٧:٢١)، (أع١٩:١٢). فكيف للأرواح أن تتوالد؟! وكيف لهم ككائنات ليس لها أجساد، أن تلد كائنات لها اجساد؟! وطبعًا لا يوجد الجنس والزواج بين هذه الأرواح.

فالشياطين ـ **وإن كانوا قد فقدوا قداستهم** ـ إلا أنّه لا تزال لهم طبيعتهم الملائكية. ولذلك يقول سفر الرؤيا أنه حدثت حرب بين ميخائيل وملائكته ، والتنين (أي الشيطان) وملائكته: «وحارَب التنين وملائكته ولم يَقْوَوْا ... فطُرِحَ التنين العظيم، الحية القديمة، المدعُوُّ إبليسَ والشيطان، الذي يُضَلُّ العالمَ كلَّه، طُرِحَ إلى الأرض وطُرِحَت معه ملائكته»(سفر الرؤيا ١٢:٧-٩). ومادامو ملائكته، أنظر ما قال المسيح عن الملائكه في حديثه عن القيامه: قال:«لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء»(متى ٢٢:٣٠). إذن الملائكة لا يُزَوِّجُونَ ولا يَتَزَوَّجُونَ. والشياطين ملائكة تنطبق عليهم هذه الصفة.

إنهم قد يثيرون النواحي الجنسية بين البشر، ولكنهم هم أنفسهم ليست لهم هذه الخواص الجنسية. فقد يظهر الشيطان في شكل رجل أو في شكل إمرأة. ولكن، لا يوجد شيطان امرأة،

ولا شيطان رجل...لا يوجد بين الشياطين ذكر وأنثى. ولا توجد لهم أجساد رجال، ولا أجساد نساء. وبالتالي لا توجد فيهم مواد الإخصاب، ولا يستطيعون أن يكونوا مصدراً لإيجاد إنسان، ولا حتى لإيجاد شياطين. فالشياطين سبب كثرتها هو كثرة عدد الساقطين من الملائكة، وليس هو توالد بين الشياطين! فإن كانوا لا يتوالدون فيما بينهم، فكيف بالأحرى مع البشر.

والتوالد يحتاج إلى توافق في النوع أو الفصيلة. فلا يحدث مثلاً توالد بين سمك وطير، ولا بين طير وحيوان، ولا بين حيوان وسمك.. ولا بين إنسان وطير.. لابد إذن من توافق في الجنس والنوع. ومن هنا لا يمكن أن يحدث توالد بين إنسان وشيطان، بالإضافة إلى أنَّ الشيطان ليس له جسد. إن التاريخ لم يقدم لنا مثالاً واحداً لهذا التوالد.لا نعرف شخصاً واحداً قد وُلِدَ من أبوين، أحدهما إنسان والآخر شيطان، حتى يقدم لنا إجابة عن ذلك ، وهو أية الطبيعتين تكون الغالبة في هذه العلاقة حتى يكون النسل إنْساً أو يكون شيطاناً، أو يكون «**شيطوإنسان**»..!! وهل يكون مرئياً أم غير مرئي..!

سؤال : ما هو السِّحْرُ ؟ وما هو موقف الكتاب المقدس منه؟ وما هي الوسائل والآيات التي تمنع تأثير السِّحْر على الإنسان؟

ينبغي أن نفرّق بين السِّحْر والدَّجَل؛ وذلك لأن كثيراً من الدَّجَالين يَدَّعونَ أنهم سَحَرَةٌ وأنه يمكنهم أن يأتوا أعمالاً لا يستطيع أن يعملها الفرد العادي، وهم في الحقيقة شخصيات عادية، تميزت بنوع من الدهاء. السِّحْر هو إتيان أعمال غير عادية تفوق طاقة البشر، ولا يستطيع الإنسان أن يعملها إلا بمعونة الشيطان، وهذا هو السبب في تحريم السحر دينياً. فالشيطان يهدف من هذا تحويل الناس عن طريق الله.

*** موقف الكتاب المقدس من السِّحْرِ والسَّحَرةِ والمتعاملين معهم:**

أوضح الكتاب المقدس أن العرافَةَ خطيئة (١صم ١٥:٢٣) وفي سفر ملاخي يقول اللّه: «وأَقترب إليكم للحُكم وأكون شاهداً سريعاً على السحرَة، وعلى الفاسقين، وعلى الحالفين زوراً » (ملا ٣:٥). وزاد الأمر على هذا الحد في سفر الخروج (خر ٢٢:١٨) ويحث الناس على عدم القيام بالسحر (تثنيه ١٨:١٠). وسفر الرؤيا يذكر أن خارجاً (في جهنم) يكون الكلاب والسحرة والزُّناةُ والقتلَةُ (رؤ ٢٢:١٥).

أما بالنسبة للمتعاملين مع هذا الأمر، فقد رفض اللّه شاول لمثل هذا الأمر كما رأينا، وقال في سفر اللاويين: «لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم» (لا ١٩:٣١). وكان عقاب اللّه صارماً في(إشعياء ٤٧:١٢–١٥؛ لاويين ٢٠:٦).

*** سلطان السِّحْر والشياطين على البشر، وسلطان البشر عليهم:**

١) إن القول بتأثير الشياطين على العالم تأثيراً مُطلقًا يتنافى مع قدرة اللّه وعدله ومحبته للبشر: فمن صفات اللّه أن قدرته تفوق أي قدرة لأي كائن من الكائنات المجودة. فهو خالق الكل، وضابط الكل وعدله مطلق، ومحبته فائقة. فإذا سلَّمنا بأن للشياطين القدرة على البشر بدون قيود، فهذا يتنافى مع محبة اللّه للبشر وحمايته لهم. وحتى إذا سمح اللّه للشيطان بتجربة إنسان، فهذا يكون إما بقصد إختبار قوّة إيمانه، كما حدث مع أيوب الصدّيق، حيث سمح اللّه للشيطان بتجربته، أو بقصد عقوبته إذا حاد عن طريق الرب، وكلتا الحالتين تُعَبِّران عن محبة اللّه.

٢) لا يمكن أن يَتْرُكَ اللّهُ العالمَ للشياطين تتحكم فيه كما تشاء:وذلك لسببين:

الأول أن اللّه ضابط الكل، والثاني أن إبليس يهدف أساساً للفَتك بالإنسان وإبعاد البشر عن اللّه.

٣) الشياطين مُقيَّدة الحرية ولا يمكنها التصرف دون السماحَ من اللّه:

فقد منع اللّه الشيطان أن يمدّ يده إلى «نفس» أيوب عندنا طلب منه السماح له بذلك (أي١:١٢). ولم تستطع الشياطين أن تدخل الخنازير، إلا بعد أن سمح اللّه لها الرب يسوع بذلك (متى٨:٣٢؛ مرقس٥:١٣).

وقال الرب يسوع لبطرس:«سمعان، هوَّذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة، ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك»(لو ٢٢: ٣١ – ٣٢).وكما علَّمنا سفر الرؤيا، فإن الشيطان أصبح مقيَّدًا بالصليب ولا يستطيع أن يسيء إلى الإنسان المتمسك باللّه، إلا إذا أسلم الإنسان نفسه للشيطان.

٤) إن السيّد المسيح له سلطان مطلَقٌ على الشياطين:

فقد أوضح الكتاب المقدس هذا في العديد من المواضع (لو ٩: ٤٢ ؛ ٨:٢٦-٣٩ ؛ مت ١٧:١٨؛ ١٧:١٤–٢١؛ ٨:٢٨–٣٤؛ مر ٩: ١٤–٢٩). وقد وصل سلطانه هذا إلى الحدِّ الذي جعل الشياطين تضجر من تقييده لها، وإنتصاره عليها فكانت تصرخ قائلة:«مالنا ولك يا يسوع الناصري؟ أَتيتَ لتُهلكنا ؟!» (لو ٤:٣٤) ، ولما كانت الشياطين تكلّمه كان ينتهرهم ولا يَدَعُهُمْ ينطقون (لو ٤ : ٤١) . ونحن نعلم جميعًا أن إبن اللّه جاء لكي ينقض أعمال إبليس (١يو ٣:٨). ولكن، هل هذا السلطان للرب يسوع فقط ؟

٥) إن الرب يسوع وهَبَنا نفسَ السلطان على الشياطين:

قد أعلن لنا الربّ أننا يمكنُنا أن نتحاشَى أذى الشياطين، بل وأكثر من ذلك أن نُخرجها بإسمه أيضًا، وأن نتكلم بألسنة جديدة وإن شربنا شيئًا مميتًا فلا يضرّنا ، ونضع أيدينا على المرضى

فيبرأون (مر١٦:١٧-١٩). وقد إستخدم الرُّسُلُ هذا السلطان أنَّ السبعين رسولاً رجعوا إليه بفرح قائلين: «يا ربُّ حتى الشياطين تخضع لنا بإسمك»(لو١٠:١٧). ونحن نعلم أن الكثير من الآباء الأساقفة، والكهنة يخرجون شياطين ويتحكمون بها بإسم يسوع المسيح.. كما أن اللّه أعطانا أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو، أي كل القوى الشيطانية.

نحن لا نخاف الشيطان كقوة قائمة بذاتها تعاكس اللّه.. فالشيطان أيضًا تحت سلطان اللّه، فنحن نطلب من اللّه ـ الذي هو خالقه ومسيطر عليه ـ أن ينجينا من أفعاله.. والشيطان لا يقدر أنْ يحتمل تلاوة المزامير، ولا صلاة من المؤمنين .. ويهرب الشيطان المتكبّر أمام تواضع وانسحاق الحسني العبادة .. نحن لم نسمع قط أنَّ إنسانًا يعيش مع اللّه، يقرأ الإنجيل،يصلي، يتناول، ويمارس الوسائط الروحية، حدث له شيء بسبب السحر أو الشيطان.

إنّ تلاوة المزامير تعطيك إيمانًا وتمنحك سلامًا، مثل تلاوة مز ٩٠ «الساكن في ستر العلي ..»، أو مز ٢٢ «الربّ يرعاني»، أو مز ٢٦ «الرب نوري وخلاصي ممن أخاف؟!». وإذا تساءل البعض لماذا لم نحصل بعدُ على تلك القدرة التي نطرد فيها الشياطين ، فإن الرب يسوع يجيب الإجابة التي أجابها للتلاميذ عندما سألوه نفس السؤال فقد قال لهم: «لعدم إيمانكم! فالحق أقول لكم: لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل، لكنتم تقولون لهذا الجبل إنتقل من هنا إلى هناك فينتقل، ولا يكون شيء غير ممكن لديكم، وأما هذا الجنس (الشيطان) فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم. (متى ١٧:٢٠-٢١).

يقول الربّ: « يُشبه ملكوتُ السماوات إنسانًا زرع زَرعًا جيّدًا في حقله. وفيما الناسُ نيامٌ جاءَ عَدُوُّهُ وزرع زوانًا في وسط الحنطة ومضى. فلما طَلَعَ النباتُ وصنعَ ثمرًا، حينئذ ظهرَ الزَّوانُ أيضًا. فجاء عبيدُ ربّ البيت وقالوا له يا سيِّد، أليسَ زرعًا جيّدًا زرعتَ في حقلكَ؟ فَمن أينَ لَه زوانٌ ؟. فقال لهم: إنسانٌ عَدوٌّ فعَلَ هذا. فقال له العبيد: أتريدُ أنْ نذهبَ ونجمعهُ ؟ فقال لا! لئلا تَقلعوا الحنطة مع الزَّوان وأنتم تجمعونَهُ. دعوهما ينميان كلاهما معًا إلى وقت الحصاد، وفي وقت الحصاد أقولُ للحصَّادين: اجمعوا أولاً الزَّوانَ واحزموهُ حُزَمًا ليُحرَقَ، وأمَّا الحنطةَ فاجمعوها إلى مخزني» (متى ١٣:٢٤-٣٠). أذًا الخطيئة دخلت بسبب حسد إبليسَ وغوايته، لكنّ الإنسان الذي يتمتّع بحريّة الإرادة، يستطيع بالتعاضُدِ الإلَهيّ أن يجاهد ضد الشرّ وأعماله.

ينطلق القديس باسيليوس الكبير من المزامير فيقول إنه عندما نقرأ آية مثل: «إلى متى يا رب تنساني إلى الانقضاء. إلى متى تصرف وجهك عني.» (مز١٢:١)، فهذا يُظْهر وضعَ المؤمن الذي لا تحزن نفسه في الشدائد، لكن ينتظر صلاحَ الله ويدرك أنه بسبب تدبير ما وحكمة ما ،يدخل في التجارب؛ وأن درجة التجربة توازي درجةَ الإيمان. بينما غير المؤمن عندما يُجَرَّب بالأحزان والضيقات، يشكّك حالاً بوجود الله وبعنايته للبشر. يضيف القديس باسيليوس أن الجاهل فقط يعتبر أن الله علة الشرور. فهذا القول يوازي فكرة أن الله غير موجود، لأن كون الله علة الشرور يعني أنه غير صالح. بالحالتين إذًا هنالك إنكار لله الصالح.

لكن من أين تأتي الأمراض، الموت، الكوارث الطبيعية، والحروب . . . ؟ مَن المسؤول عن هذه الأحداث؟ يقول القديس باسيليوس الكبير إننا خليقة الله الصالح والله يحفظنا، ويدبر ويرعى من أجلنا الأشياء الصغيرة والكبيرة، لذلك لن نعاني من شيء بدون موافقة الله. الموت ليس بالمطلق شرًا لأنه أمر الهي، إلا إذا عنينا موت الخاطئ ، لأن الخاطئ قد حول الموت إلى شرّ. أما أصل الخطيئة فهو حريتنا وسلطتنا الذاتية. هذا النوع من الخطيئة، أي الظلم، الغَيْرة، القتل وكل ما يشابه ذلك، متعلق بنا. هذه كلها شرور تلوث النفس التي خُلقت على صورة الله، **وتُسوِّد** ما فيها من صلاح.

يعتبر أيضًا القديس باسيليوس الكبير أن الله يسمح بالشرور التي تصيب الجسد، مثل الأمراض والجروح الجسدية، أو حتى الذل والفقر وما إليه، من أجل منفعتنا. فخلع الغنى عن الذين يستعملونه للسوء، ينجيهم من ارتكاب الخطيئة. السقوط في المرض أفضل من ارتكاب الشرور. حتى الكوارث التي تطال أمما بكاملها، مثل المجاعات والجفاف والسيول، فهي أيضا للحدِّ من انتشار الخطيئة وسيطرتها. يأخذ الله هنا دور الطبيب الجراح الذي يضطر إلى القيام بعملية جراحية مؤلمة وخطيرة، لكنها ضرورية من أجل سلامة الجسم. الطبيب يعمل ضدّ المرض لا ضدّ المريض، والله يعمل ضد الخطيئة وليس ضد الناس.

لكن كيف نفسر القول «أنا الرب وليس آخَرَ، أنا هو الذي صنع النور والظلمة أنا هو صانع السلام وخالق الشر» (أش٤٥: ٧)؟ (أنظر أيضا ميخا ١: ١٢ ، عاموس ٣: ٦ ، تثنية ٣٢: ٣٩). يقول القديس باسيليوس الكبير إن من يفهم الكتب المقدسة لا يعتبر من هذه الآيات أن الله خالق الشر. فهي تشدّد على أن الله خالق المسكونة وليس خالق أي شرّ. لكن لكي لا يظن أن إلهًا هو علة النور وآخر علة الظلمة سمّى الله نفسه خالقًا ومهندسًا كل ما قد يبدو ضد الخليقة.

أما المقصود من «**خالق الشر**» فهو أنه يعيد صنع الشر، أي أن الله يصلحه وينقيه من كل ما هو شرير ثم يشركه في طبيعة الخير. مثل قول المزمور «قلبًا نقيًا أخلق فيّ يا الله» (مز٥٠: ١٢)، المعنى ليس أن يخلق الله الآن قلبًا جديدًا، لكن أن يجدّد القلب وينقيه من كل ما عَـلَقَ به من خطايا. ومثل قول القديس بولس الرسول «وأبطل ناموس الوصايا بتعاليمه ليخلق الاثنين في نفسه إنسانًا واحدًا جديدًا بإجرائه السلام» (أف٢: ١٥). الخلق هنا لا يعني من العدم بل ترميم الوجود، فالمتحد بالمسيح هو خليقة جديدة (كو ٥ : ١٧).

الشرّ إذًا لا يصدر عن الله، بل الله يدمر الشرّ، يغيّر طبيعته ويجعله خيرًا. الخطيئة هي الشر الأساسي وهذا مرتبط بإرادتنا. نحن مسؤولون عن الابتعاد عنها أو عيشها. أما الذي يصرّ على الإنغماس في الخطيئة، ولا يتّعظ فيفنى بسبب خطيئته. هذه الأمور تجريها دينونة الله العادلة لتجعل الذين يميلون إلى الشر بسهولة عقلاء راشدين. مثال على ذلك داثان وأبيروم الذين صارا عِبْرَةً لإصلاح الآخرين (عدد ١٦: ١٣).

أوضَح مثال هو فرعون الذي كان غير قابل للشفاء بسبب شرّه الفائق. هذا قَسيَ أمام رحمة الله، وازداد شرّه أمام تأجيل العقاب فظهرت فيه عدالة الدينونة الإلهية. لذلك أضاف الله الضربات إلى الضربات ومدّدها، ومع ذلك بقي فرعون على تمرّده وعصيانه لا بل ازداد احتقارًا لطول أناة الله، واستحق بذلك الهلاك عندما حاول أن يقلد سيرة الصالحين في اجتياز البحر الأحمر.

الشرّ إذًا ليس له وجودٌ خاصٌ لأنَّ الشرّ ليس شيئًا موجودًا كالحيوان مثلاً ، ولا نستطيع أن نعتبر عنصره موجودًا، فالشرّ يأتي كنتيجة لفقدان أو لإنتفاء الصلاح. لا وجود للشرّ إذًا بحدِّ ذاته، لكنه يأتي من النفس. ليس الشرّ بلا بداية، وليس مساويًا لطبيعة الخير. يأتي كل شيء من الله، والشرّ لا يمكن أن يأتي من الخير، والرذيلة لا تأتي من الفضيلة. قصة الخليقة تُظْهِر أنّ كل شيء وُجِدَ حسنًا (تك١: ٣١) والشرّ لم يُخلق في الوقت الذي خُلِقَ فيه الخير.

الصياغة وصناعة المجوهرات في العهد القديم

الصائغ هو مَنْ حرفتُه الصياغةُ. والصياغة هي عمل ا طُلِيّ من فضة وذهب ونحوهما. والكلمة في العبرية هي «تسوريف צרוף» ومعناها «ينقيَّ أو يصقل» . وقد ذكرت هذه الحرفة ـ لأول مرة في الكتاب المقدس ـ بالارتباط بصنع خيمة الشهادة ، حيث قال الرب لموسي : «قد دعوت بصلئيل بن أوري .. وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة لاختراع مخترعات ليعمل في الذهب والفضة والنحاس ونقش حجارة للترصيع .. ليعمل كل صنعة » (خر ٣١: ١ـ٥ ، ٣٥: ٣٠ـ٣٣).وجاء في سفر نحميا ما يُفهم منه أنه كانت هناك نقابة للصاغة في زمنه (نح ٣: ٨ و ٣١و٣٢) .

ويرى البعض أن هذه الحرفة انتقلت إلى فلسطين عن طريق الفينيقيين (٢أخ٢: ١٣و١٤). وما أكثر ا طُلِيّ والأدوات المصنوعة من الذهب ، التي وُجِدَت في آثار قدماء المصريين . فهي تملأ الآن متاحف العالم ، حتى لم تعد ثمة حاجة للخيال لإدراك مدى مهارة وبراعة أولئك الصاغة القدماء . ولعل الصاغة اليهود تعلموا هذا الفن من المصريين عند إقامتهم في مصر (خر١٢: ٣٥) .

وكـانت هذه الـحرفة تشـمل :

١) **تنقية الذهب وتمحيصه** (أيوب ٢٨: ١ ؛ أم ١٧: ٣ ؛ ٢٥: ٤ ؛ ٢٧: ٢١؛ إش ١: ٢٥ ؛ ملاخي ٣: ٣).

٢) **تشكيل المعدن** :

أ) سبك الأصنام (عدد٣٣: ٥٢،اش٤٠: ١٩،٤٦: ٦، هو ١٣ : ٢)

ب)صنع التماثيل المنحوتة (٢أخ٣٤: ٣ـ٤ ، إرميا١٠: ١٤ ناحوم١: ١٤).

جـ) صناعة المخروطات والمطروقات (خر٢٥: ١٨) .

د) التغشية بالذهب (خر٢٥: ١١، ١مل٦: ٢٠).

هـ) اللحام (إش٤١: ٧) .

و) صناعة الصفائح والخيوط الذهبية (خر ٢٨: ٦، ٣٩: ٣) ، وما زالت هذه العمليات قائمة في الشرق الأوسط إلى اليوم ، ويوجد حيٌّ للصاغة في دمشق وحلب والقاهرة ، ولعلهم يقومون بكل هذه العمليات بنفس الأساليب التي كانت تتم بها في العهود القديمة.

القديس يوحنا الروسي الصانع العجائب

ولد القديس يوحنا في روسيا الصغرى حوالي العام ١٦٩٠م. كان والداه من المسيحيين الأتقياء، وقد أورثا يوحنا الصغير الإيمان الأرثوذكسي القويم، ومحبة اللّه والمواظبة المقدّسة على الصلاة الدائمة التي صارت سلاحه الحاسم ضد الخطيئة. لقد أنارت الصلاة درب حياته وزادته قوّة في صراعاته القاسية ضد أعداء الإيمان، وكانت له عزاءً وملجأً في أوقات الشدّة.

في تلك الفترة كان بطرس الأكبر ملكًا على عرش روسيا، وفي سنة ١٧١١م أثار حربًا عظيمة ضد تركيا. وقد شارك يوحنا في تلك الحرب، وكان عمره آنذاك ٢١ عامًا. كانت الحياة العسكريّة حينها قاسية جدًّا، إذ كان النصر بالنسبة إلى الفريقين المتحاربين يتوقف بصورة رئيسيّة على الشجاعة الشخصيّة للجنود لا على استعمال قذائف الدمار التي لم تكن قد عُرفت بعد في تلك الفترة.

في هذه الحرب الضَّارية بين روسيا وتركيا تغلّب الأتراك، وتعرّض بطرس الأكبر لخطر عظيم، وكادَ أن يَلقَى حَتْفَهُ. أما يوحنا فقد وقع أسيرًا في أيدي التتار الذين كانوا من أكثر القبائل البربريّة وحشيّةً. وهكذا بدأت حقبة جديدة في حياة الأسير الشاب يوحنا، إذ أَسَرَ التتار الآلاف من الروس. وحسب عادة تلك الأيام، كان الأسرى يُباعون عبيدًا في أسواق النِّخَاسَة. فاشترى يوحنا أحدُ قادة الفرسان العثمانيين في بروكوبيو في آسيا الصغرى، وهي قرية قريبة من مدينة قيصرية كبادوكيا. وتدعى الآن في تركيا ببلدة أورغپ.

أخذ الآغا يوحنا معه إلى «بروكوبيو». وامتلأت تركيا من حشود العبيد الموسكوبيين (الروس) الذين كانوا يُقاسون ويئنّون تحت ضغوط المعاملة القاسية من العثمانيين، مما اضطر الكثيرين منهم على أن يتخلَّوا عن إيمانهم بالمسيح، وأن يتحوّلوا الى الإسلام، لكي يخفّفوا عنهم ثقل العبوديّة.أما القديس يوحنا فقد ظلَّ صامدًا أمام تحديات التجارب الصعبة التي واجهته. فالحرب والعبوديّة ومثال مواطنيه المتخاذلين لم تزعزع روحه المسيحيّة، فمكث صابرًا مصليًّا باستمرار، طالبًا بإيمان ورجاء ثابتين المعونة من اللّه الكليّ القدرة، الذي مرارًا كثيرًة لا يدع عبيده الأمناء يعانون طويلاً. وهكذا يختبر القديسين الحقيقيين «كالذهب في البوتقة» لكي يخلّصهم، في النهاية، مُظْهِرًا إيّاهم غالبين للخطيئة.

كانت قرية «بروكوبيو» مُعَسْكَرًا للأسرى المسيحيين المُجنّدين للحرب المعروفين بـ (الإنكشارية). فعاش القديس يوحنا في محيط معاد، وكان بشكل دائم عرضة لتعييرات الأتراك وإزعاجهم، فقد كانوا ينادونه «**يا كافر**». ويحرّضونه على تغيير دينه. أما القديس فقاوم إلى النهاية. كان سيّده يضربه ويهينه ويُشَدّد عليه ليصير مسلمًا، فكان ردّه أنَّ لا شيء يفصله عن المسيح. قال: «أنتَ سيّدٌ على جسدي لا على نفسي. إذا تركتني لحريّتي أتعاطى واجباتي الدينيّة فإني مُطيعك بلا تردّد. بكل سرور تجدني أرتاح إلى هذه الزاوية من الإسطبل ويرتحل ذهني إلى المسيح الذي حَسبَ مذود بيت لحم سريرًا ملوكيًّا. مستعدٌ أنا أن أحتمل بلا تذمر ضربات عصاك، كما تحمّل الرب يسوع المسيح ضربات الجند. أما إذا شئت أن تخضعني بالقوّة لتحملني على الكفر بمسيحي، فأنا مستعدٌ أن أحتمل العذابات وأشدّها هولاً ولا أنكره». وقال للآغا أيضًا: «إذا تركتني حُراً في إيماني فسأكون مُطيعاً لأوامرك. أما إذا أجبرتني على تغيير إيماني، فاعلمْ أنني أُسلّمك رأسي بدلاً عن إيماني. **وُلدتُ مسيحيّاً، ومسيحيّاً سوف أموت**».

إن صمود القديس يوحنا وشخصيته المميّزة إلى فضيلة التواضع التي كان يتحلّى بها، ساهمت في تليين قلب الآغا القاسي، ومع الوقت صار يعطف عليه. هذا ما حدث بالتأكيد كبادرة من اللّه الذي رأى وسمع إعتراف يوحنا، وسمحَ بتغيير نوايا الآغا، إذ إن قلوب الناس يمكن أن تتبدّل بنواياها ورغباتها عندما يشاء اللّه، فتحنو أو تقسو كما هو مكتوب: «قَلبُ المَلك في يد الرب كجداول مياه، حيثما شاء يميله» (أمثال ٢١:١)، لأنّهُ «إذا أَرضَت الربَّ طرقُ إنسانٍ جَعَلَ أعداءه أيضاً يُسالمونه» (أمثال ١٦:٧).

أوكل الآغا إلى يوحنا أمر العناية بحيوانات الإصطبل، فقام القديس بهذه الخدمة الوضيعة على أفضل وجه. وكان يرتمي بجسده المُتعب في إحدى زوايا الإصطبل فيغمره فرحٌ لا يوصف، لأنه استحق أن يقيم في اصطبل كما سبقَ ذلك للمسيح في المذود. ورفَضَ أن يُقيم في البيت الخاص الذي منحه إياه قائد الفرسان وزوجته. فقد فضّلَ حقارة الإصطبل على الراحة المؤقتة. وهنا تكمن عظمة الفضيلة، فبينما تميل طبيعة الإنسان إلى طلب الراحة والتسلية والمجد، نجد البعض يزدري بكل شيء ويختار الصعاب

لأجل محبة اللّه، مقتديًا بتواضع المسيح. لأنّه عندما نعمل الأعمال الصالحة رغمًا عنّا فهي لا قيمة لها عند اللّه. أما الفضيلة فتستحق أجْرَها عندما تتم بإرادة الإنسان ورغبته.

لم يكتف القديس يوحنا الرّوسي فقط بالتعب الذي احتمله وهو يخدم خيول سيّده وبغاله، ولا بأقذار الإصطبل وروائحه الكريهة، بل أضافَ أتعابًا أخرى وتواضعًا أكبر. لقد حوَّل زاوية إقامته في الإصطبل إلى منسك، وكان يقضي لياليه ساهرًا مصليًّا مرتلاً بهدوء، بالإضافة إلى الصلوات الأخرى كمزامير داوود التي كان يعرفها باللغة الروسيّة: «يا رب، كم كَثُرَ الذين يُحزنونني ؟ كثيرون قاموا عليَّ، كثيرون يقولون لنفسي لا خلاص له بإلهه. وأما أنتَ يا ربُ فخلاصي ومجدي ورافع رأسي ...». وفيما هو يتذكّر كره الأتراك ومُضايقاتهم وشتائمهم، كان يكمّل كلمات المزمور « ... فلا أخاف من ربوات الشعوب المتآزرين عليَّ. قُمْ يا رب خلِّصني يا إلهي، لأنك قد ضربتَ كلَّ من يُعاديني باطلاً، وسحقتَ أسنانَ الخطأة. للرب الخلاصُ وعلى شعبكَ بركتُك. أنا رقدتُ ونمتُ ثم قمتُ لأن الرب يَنصُرُني» (المزمور الثلث). بعد تعب النهار والصلوات الكثيرة، كان ينام على التبن في الإصطبل مُتخذًا عباءة بالية غطاء له. أما غذاؤه فكان قليلاً لأنه كان يمارس الصوم. ولم يكن طعامه في أكثر الأحيان سوى الخبز والماء. كان يحاول العيش بالنُسْكِ والتواضع على مثال الآباء القديسين.

عندما كان سيّده يخرج للنزهة أو لعمل وهو يمتطي جواده، كان القديس يتبعه حسبما تقتضيه مهنته كسائس للخيول. لكنه حتى في هذه الحالة لم يبقَ بطّالاً، بل كان يملأ وقته في الطريق بترتيل مزامير داوود بصوت خفيض، محاولاً أن يُبقي ذهنه مرتفعاً نحو اللّه. وكما أن اللّه بسَبب البَارِّ يعقوب أغنى لابان، هكذا بارَكَ ثروة الآغا فصارَ واحدًا من أقوياء بروكوپيو. وقد أدركَ هو سبب غناه المفاجيء، وكان يُعلن في كل مكان بأنّه بسبب سائسه قد أغناه اللّه.

بالقرب من بيت سيّده كانت هناك كنيسة مبنيّة (محفورة) داخل صخرة كبيرة على اسم القديس جاورجيوس. لأن غالبية الكنائس محفورة داخل الصخور في منطقة كبادوكية. فقد إعتاد يوحنا الذهاب إلى هناك في هدوء الليل، وكان يسهر واقفًا عند المدخل. كل سبت كان يتناول الأسرار المقدّسة، لأنه كان يعلم جيّدًا أنه بدون القوّة التي تَمُدُّنا بها المناولة المقدسة، لا يمكننا التغلّب على العقبات التي نصادفها في حياتنا الروحيّة.

كلمات المسيح التي وجَّهَها إلى تلاميذه «بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً» و «من يأكل جسدي ويشرب دمي يَثْبُتْ فيَّ وأنا فيه» (يو٦:٥٦). هذه الكلمات حفرها عميقًا في قلبه، لذلك إعتمد في تقدّمه الروحي، لا على قوّته وجهاده، بل على قوّة المسيح التي كان يطلبها فيجدها في الصلاة وسرّ الشكر.

عندما اغتنى سيّد القدّيس يوحنا. قرّرَ القيام بالحج إلى مكّة، وهي المدينة المقدّسة عند المسلمين. فاتّجه نحو هدفه، لكنه عانى كثيرًا من المشقات في الطريق.

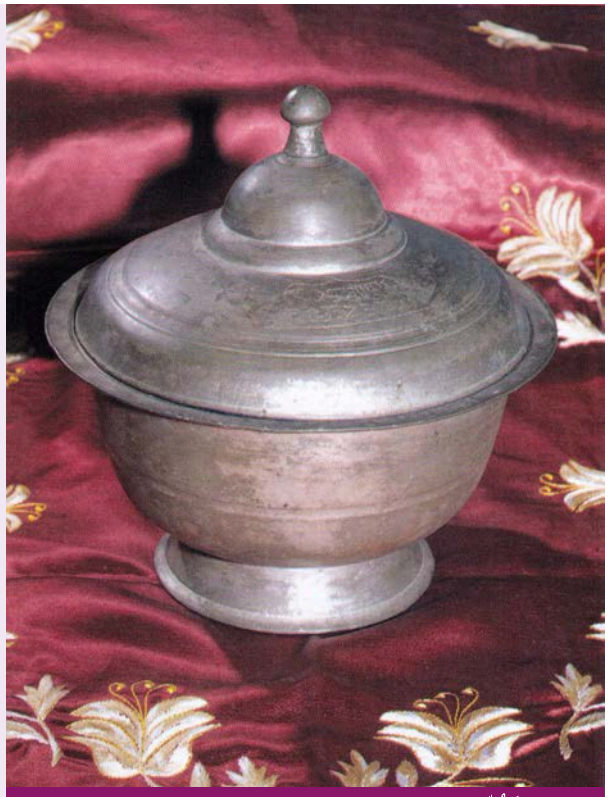

"Ενα πάτο, ὅμοιο μ' ἐκεῖνο τοῦ ἁφέντη τοῦ Ὁσίου Ἰωάννου, τό ὁποῖο γεμάτο πλάφι ἐπέστειλε μέ τήν προσευχή του ὁ Ἅγιος στή Μέκκα.

وعاء الأَرُزّ الذي انتقل من قرية أورغپ في آسيا الصغرى إلى مدينة مكّـة ، بعد صلاة القديس يوحنا الروسي المستجابة من لدنه تعالى

وإذ طال الوقت لإيابه إلى وطنه ، دعت زوجته كل معارف زوجها وأصدقائه إلى مأدبة على شرفه، لكي يفرحوا ويدعو للآغا بسلامة العودة. وكان القديس يوحنا يخدم على المائدة. فبالإضافة إلى مآكل أخرى، قدّمت ربة المنزل الأرزّ المفلفل فهو محبّب جداً لدى الشرقيين. وإذ تذكّرت زوجها الذي كان يحبّ إلى حد كبير هذا النوع من الطعام، قالت للقديس: «يوڤان، لو كان سيّدك هنا وأكل معنا من هذا الأرز فكم سيكون سروره عظيمًا!». عندها طلب القديس من سيّدته صحنًا منه قائلاً إنه سيرسله إلى سيّده. فلما سمع المدعوون كلامه هذا ضحكوا ظانّين أنه يريد أن يأكل الأرزّ لوحده على إنفراد، أو أنه يريد أن يعطيه لعائلة فقيرة كما اعتاد أن يفعل بطعامه اليومي. على أيِّ حال، قالت السيّدة للطّباخة بأن تعطيه صحن الأرز لكي يفعل به ما يشاء. وبالطبع لم يكن أحد يظن بأن القديس تفوَّه بتلك الكلمات وهو يعني ما يقول.

أخذ القديس الصحن (وعاء الأرزّ) ونزل إلى الإصطبل حيثُ اعتاد أن يصلي. وضعه في زاوية وركع على التبن مصليّاً من القلب، بإيمان عظيم حارّ، الى اللّه كي يستمع طلبته وينقل، بقدرته الكليّة، الصحن إلى مكّة. واللّه الذي يستجيب لعبيده الأُمناء والمتواضعين والأنقياء القلوب، لم يرذل تضرُّع يوحنا. هذا الذي يفحص أعماق القلب، ويعرف مكنونات أفكارنا أدرك بأن طلبته كانت بنيّة مقدّسة. لأن القديس سأل تلك المعجزة لكي تظهر عظمة الإيمانَ الأرثوذكسّي الذي هَزَءَ به العثمانيّون كثيرًا. لم يطلبها لكي يُمَجَّد هو بل المسيح. هكذا فكل الطلبات التي تصير بتواضع قلب تهدف إلى إرضاء اللّه، فلا يَرْذُلُها، لأنه دائمًا يلبّي مشيئة عبيده الأمناء ناظرًا إلى ما هو نافعٌ لهم.

بعد صلاة القديس اختفى صحن الأرز عن عينيه. فامتلأ يوحنا من الفرح وشكر اللّه الذي استجاب له. رجع الى المائدة وقال لربة البيت بأنه أرسل الأرزّ الى مكة. فلما سمع المدعوون كلامه ضحكوا من هذه الدعابة التي تفوّه بها القديس، ولم يصدِّق أيٌّ منهم ما تفوَّه به، بل ظنوا أنه هو نفسه أكل الأرزّ.

وكم كانت دهشتهم عظيمة عندما عاد، بعد أيام قليلة، قائد الفرسان من سفرة الحج، وروى لهم كيف وصل اليه الأرزّ، حتى إنه أراهم الصحن عينه قائلاً: «قبل بضعة أيام ـ محدّدًا اليوم من ذلك الشهر، وهو ذاته يوم المأدبة ـ رجعتُ من الجامع الكبير الى شقّتي، وما أن فتحتُ باب الغرفة بالمفتاح حتى رأيتُ على المائدة. وأنا مندهش، صحنًا ساخنًا من الأرزّ، والبخار يتصاعد منه. اللّه! صرختُ. مَن الذي أَحضَرَ هذا الصحن من الأرزّ، والباب مغلق؟! ولما اقتربتُ منه لكي أتفحّصه عن كثب صُعقْتُ. كم أنتَ كريمٌ يا اللّه، صرختُ يا للعجب، الصحن من بيتي، وَاسمي منقوش عليه! وبعد أن استفقتُ قليلاً من مفاجأتي، جلستُ وأكلت الأرزّ بانشراح. وفي رجوعي حرصتُ على أن أجلب الصحن معي لكي أريكم إياه. علّكم تخرجونني من حيرتي التي أنا فيها. بربكم قولوا لي ما الذي حصل وكيف أرسلتموه إليّ ؟!».

لدى سماع الحاضرين هذا الكلام، صُعقوا بدورهم وأداروا أنظارهم بتعجب نحو القديس يوحنا الذي لم يَبدُ عليه أيُّ أثر للإندهاش. عندها قصّت ربة البيت على الآغا ما حدث قائلة: «لقد طلب يوحنا أثناء تناول الغداء صحن أرزّ لكي يرسله اليك الى مكّة. وقد أعطيناه إيّاه ونحنُ نضحك، لأننا لم نستطع أن نصدّق بأن اللّه في الحقيقة سوف يساعده ويصنع هذه المعجزة!».

ذاعت أخبار هذه العجيبة في كل بروكوپيو والمناطق المحيطة بها، والجميع اعتبروا يوحنا رجلاً صدّيقًا ومكرَّمًا لدى اللّه، فصاروا ينظرون إليه باحترام ومهابة، وَلم يَعُد أحد يَجسُر على مُضايقته. أما الآغا وزوجته فقد أظهرا له محبة أكبر، ورجوه أن لا ينام في الإصطبل بل أن يقيم في البيت الخاص الذي كانوا قد أعطوه إليه قبلاً. لكن القديس أصرّ على أن يبقى في الإصطبل الوضيع متشبّهًا بالمسيح، الأمر الذي كان بالنسبة اليه مصدر فرح كبير. هكذا تابع حياته المعتادة في منسكه، معتنيًا بالحيوانات نهارًا، وساهرًا على الصلاة ليلاً.

بعد سنوات قليلة من المعاناة والمشقات، مَرِضَ واستلقى على تبن الإصطبل. ولما شعر بدنّو أجَله، رجا أحد معارفه المسيحيينَ أن يُحضر له كاهنًا كي يناوله. وإذ خاف الكاهن أن يأتي علانية بسبب تعصّب الأتراك، فكّر بطريقة أخرى. حفر تفاحة، وخبّأ داخلها جسد المسيح ودمه الطاهرين، ثم ذهب إلى القديس في الإصطبل كي يعطيه التفاحة. وبهذه الطريقة حصل على الأسرار الإلهيّة مُسلِّمًا روحه إلى اللّه في ٢٧ أيار من العام ١٧٣٠ ، وهو في حوالي الأربعين من عمره. مع أن يوحنا رقد شابًا، إلاّ أنَّ فضيلته بلغت ملء الكمال. فاللّه، عندما يصل القديسون إلى حدود الكمال، يأخذهم من هذا العالم الحاضر كما هو مكتوب: «إِنَّهُ كانَ مَرْضِيّاً للّه فَأَحَبَّهُ، وكان يعيش بين الخطأة فَنَقَلَهُ، خَطَفَهُ لكي لا

الأحتفال بعيد القديس في كنيسته في بروكوپي ـ إيڤيا

يُغَيِّرَ الشرُّ فَهْمَهُ ولا يُطغي الغشُّ نفسَه، لأن سحْرَ الأباطيل يُغَشّي الخير، ودوار الشهوة يُطيشُ العقلَ السليم. قد بلَغَ الكمالَ في أيام قليلة، فكان مستوفياً سنين كثيرة. وإذ كانت نفسُهُ مرضيّةً للرب، فقد أُخرجَ سريعاً من بين الشرور. أما الشعوب فأبصروا ولم يَفْقَهوا، ولم يجعلوا هذا في قلوبهم أن نعمته ورحمته لِمُختاريه وافتقاده لقديسيه» (حكمة ٤: ١٠–١٥).

في **شهر تشرين الأول سنة ١٧٣٣، شَعَّ نورٌ فوقَ قبر القديس**، وقد رآه الكثيرون، فانذهلوا، وأدركوا أنه إشارة ما من القديس . والأب الروحي الذي كان يُعَرِّف القديسَ الأب زوسيما كاهن پروكوپيو رآه في إحدى الليالي أثناء حلم يقول فيه له: بأن جسده لم يطرأ عليه فساد، وبأن إرادة اللّه هي في نبش القبر واتخاذ بقاياه كبركة ومعونة. فلمّا أعلن الكاهن النبأ، أسرَعَ المسيحيون بنشاط، وأخرجوا من القبر البقايا المقدّسة. وحالما ظهر جسد القديس عبق المكان بالطِّيب ، فجمع المؤمنون التراب العطر الذي كان حول الجسد واحتفظوا به كذخيرة واقية. أما الجسد المقدّس فقد وضعوه في تابوت ونقلوه إلى كنيسة القديس جواورجيوس (في پروكوپيو في آسيا الصغرى) وهناك بقي إلى سنة ١٩٢٤ (سنة التبادل السكاني بين اليونان والأتراك، التي فيها اضطر مسيحيّو آسيا الصغرى إلى الهجرة منها). وفي سنة ١٨٦٨ دعيت الكنيسة على اسم القديس ، إلى أن نُسفَت سنة ١٩٥١ (سنة التعصب الطائفي الذي أثاره الأتراك ضد اليونان).

في العام ١٨٣٢ ثار **إبراهيم باشا** والي مصر على **السلطان محمد الثاني**، فقام هذا الأخير بإرسال **الخزندار أُغْلو عثمان باشا** لمحاربته، فوصل إلى پروكوپيو وتحت إمرته الف وثمانمائة جندي. وكان ينوي قضاء الليل هناك. ولكن الإنكشارية خصومه قاوموه، فدارت معركة بينهم، ودخل عثمان باشا إلى پروكوپيو التي فرّ منها المسيحيون إلى المغاور والقرى المجاورة.

إقتحمَ جنود عثمان باشا منازل پروكوپيو ونهبوها، وجرّدوا كنيسة القديس جاورجيوس من الأواني الثمينة والتقدمات. وعندما رأوا تابوت القديس يوحنا فتحوه ظانّين بأنهم سيجدون في داخله ذهبًا. وعندما لم يجدوا شيئًا، إغتاظوا كثيرًا، فجمعوا أخشابًا وقشًا وأشعلوا نارًا عظيمة في ساحة الكنيسة، وأخرجوا الجسد المقدّس من التابوت ورموه في النار كي يحترق. وبينما هم

يَسْمُرون ويلهون حول النار، انتصب فجأة القديس وسط النار وكأنه عاد حيًا. وكانت ألسنة اللهب تحيط بالجسد ولا تحرقه. وإذ رأى العثمانيون هذه المعجزة، فَرُّوا هاربين تاركين وراءَهم كل ما سرقوه من الكنيسة خوفًا من عقاب القديس. في اليوم التالي، قامَ بعض الشيوخ بإعادة جسد القديس إلى التابوت. وقد سَرَى بين الشعب أن القديس يوحنا الروسي عاشَ حياته بارًا، ولكنه صارَ شهيدًا أيضًا لأنه بقي ساعات عدة في النار وكأنه حيّ.

عجائب كثيرة حصلت بواسطة القديس يوحنا حتى بعد موته. ليس فقط في عصره، بل حتى يومنا هذا تحصل عجائب وأشفية لكثير من الناس، إذ يطلبون شفاعته بإيمان وورع. ولو شئنا أن نوردَ كل العجائب التي حصلت بواسطته لاحتجنا إلى تأليف كتاب خاص لذلك. لكن سنكتفي هنا بذكر عدد محدود من أوائل معجزاته.

سنة ١٨٦٢، بعد القدّاس الإلهي في كنيسة القديس باسيليوس، ذكرت امرأة تقيّة أنها حلمت بالقديس يوحنا «وهو يَخْرُج من تابوته ويذهب إلى المدرسة المجاورة ويسند بكلتا يديه سقفها المتداعي». وفيما هي تنهي كلامها، سُمِعَ دويٌّ قوي، وهَرَعَ الناس وهم يصيحون وينوحون ورفعوا السقف، ويا للعجب. فقد خرج تلاميذ المدرسة العشرون سالمين من تحت السقف دون أن يُصاب أحدٌ منهم بأيّ أذى. وقالوا أنهم، قبل أن يسقط السقف، سمعوا قرقعة مخيفة كانت تحذيرًا مُسبقًا لهم مما أتاح لهم الإختباء تحت المقاعد. وعندما سقط السقف استقرّت كتلة على المقاعد دون أن تؤذي أيّ واحد منهم.

سنة ١٨٧٤ ، حدثت معجزة أخرى لها علاقة بأحفاد الآغا ـ الذي كان القديس يوحنا يخدمه ـ والذين كانوا يكرمون القديس بشكل خاص ويطلبون معونته على الدوام.

حدث مرّة أن ابنة أحد أحفاد الآغا اختفت، ولم تفلح محاولات أهلها المتواصلة في العثور عليها. وفي النهاية قرّروا اللجوء إلى معونة القديس، وطلبوا من الكهنة أن يتضرّعوا إليه كي يساعدهم.

تراءى القديس لوالدة الفتاة في الحلم قائلاً: « إن إمرأة تركية فقيرة أخذت الصغيرة إلى دكانها مساء الأمس، ثم اصطحبتها إلى بيتها بطريقة لطيفة، وهناك جرّدتها من أقراطها وحليّها وكل ما تحمله من ذهب، ثم خنقتها وخبأتها في مدخنة المدفأة». استيقظت الأم مضطربَة من هذا الحلم، وذهبت بصحبة زوجها وأتراك آخرين إلى بَيت المرأة التي أشار إليها القديس، وهناك وجدوا الفتاة ميّتة في مدخنة المنزل. وبعد الإستجواب اتَّضَحَ أن المرأة الشريرة نفّذت فعلتها تمامًا كما أوضح القديس للمرأة في نومها.

سنة ١٨٧٨ ، انطلق أحد رهبان دير القديس بندلايمون (الروسي) في جبل آثوس، واسمه أندراوس، قاصدًا بروكوبيو ليسجد لبقايا القديس يوحنا. وبعدما بَلَغَ غايته وسجد لبقايا القديس الذي كان يحبه كثيرًا، مكثَ في بروكوبيو فترة من الزمن ثم قَفَلَ راجعًا. وكانت هناك ست عربات أخرى متوجهة إلى القسطَنطينيّة. فعندما وصلت القافلة إلى معبر صعب، انفصلت خمس عربات منها وانطلقت متقدمة عند أحدَ المنعطفات تاركة العربتين الأخريين خلفًا ، والراهب أندراوس في إحداهما. وبينما هم في متاهة جبليّة، ظَهَرَ إلى جانبهم شاب يمتطي حصانًا أحمر، وأشار إليهم بيده قائلاً: «عودوا إلى الوراء لأن اللصوص قبضوا على رفقائكم الذين سبقوكم». وإذ قال ذلك اختفى.أدارَ المسافرون عرباتهم عائدين، فأطلق اللصوص النار عليهم، ولكنهم لم يتمكّنوا من إيذائهم. فَقَصَدَ الراهب قرية قريبة، ومن هناك أكمل طريقة برفقة جنود أتراك.

التطواف بجسد القديس في بروكوبي

في أحد الخانات، التقى الراهب رفقاءَهُ في الرحلة، وكانوا تجارًا من الشرق، فأخبروه كيف أن اللصوص لم يكتفوا بسلبهم أموالهم، بل جرّدوهم من ثيابهم أيضًا. وتعجّبوا كيف نجا الراهب من أيديهم.

عندما قصَّ عليهم أندراوس ظهور الشاب لهم، مجَّدوا جميعُهم الربّ، وأدركوا أن القديس يوحنا الروسي هو الذي أنقذَ الراهب الذي تحمَّلَ مشقة رحلته وطولها لكي يسجد لبقاياه في بروكوبيو.

سنة ١٩٢٤ ، عندما حصل التبادل السكاني بين تركيا واليونان، نُقل الكثير من سكان بروكوبيو كلاجئين إلى شبه جزيرة إيڤيا. لكنهم لم يحتملوا مفارقة القديس يوحنا الذي أحبوه كثيراً وكان لهم حارسًا ونصيرًا. فاصطحبوا معهم بقاياه المقدّسة، وأبحروا بإتجاه اليونان على متن الباخرة «**باسيليوس دستونس**». وعندما وصلوا إلى جزيرة رودس حصل شيءٌ غَريب. فقد توقفت السفينة عن تقدُّمها، وصارت تدور حول نفسها. لم يجد القبطان تفسيرًا لهذه الظاهرة، ولكن شخصًا اسمه **بنايوتس باباذوبولس** أخبره بأنه في عنبر السفينة توجد بقايا **القديس يوحنا الروسي**. للحال أمر القبطان بنقل القديس إلى جناح خاص في السفينة فيه قنديل مشتعل ليلاً ونهارًا، وهو مكان مخصّص للصلاة. ما أن نُقل جسد القديس إلى ذلك المكان الخاص حتى سمح اللّه للسفينة بمتابعة طريقها، لأنه لم يرضَ لقديسه المحبوب بأن يمكث في المكان العام التابع للركّاب بل أن يُجْعَل في مكانه المكرَّم.

عندما وصلت السفينة إلى خالكيذا، اشترك مطران المدينة وأعيانها وجمهور الشعب في استقبال بقايا القديس. وقد ظلّت البقايا سنين طويلة في قرية «پروكوپيو الجديدة» في أيڤيا. وفي سنة ١٩٣٠ بدىء ببناء كنيسة فخمة على اسم القديس انتهت سنة ١٩٥١ ، في جوارها بُنيَت مضافة واسعة لإقامة الحجّاج المؤمنين. يوماً بعد يوم، صار القديس يُعرف أكثر لدى الشعب من خلال عجائبه الكثيرة ، فضلاً عن سيرة حياته الجذّابة التي جعلته واحدًا من القديسين المحبوبين.

أنظر كتاب يوحنا الروسي الذي نشرته جمعية نور المسيح

آباء الكنيسة والعهد القديم

المتقدّم في الكهنة
الأب جورج فلوروفسكي

القديس بولس الرسول يرتكز في تعاليمه الخلاصيّة على أقوال أنبياء العهد القديم وكذلك أيضًا سَلك آباء الكنيسة العظام معلمو المسكونة قاطبة.

- وحدة الكتاب المقدّس
- العهد القديم كقصة رمزية
- التاريخ أو الوعظ
- العهد القديم والعبادة المسيحية
- العهد القديم ككلمة الله

يُعبّر المغبوط أوغسطين بشكل نموذجي عن الموقف الآبائي العام من الشريعة القديمة بقوله الشهير:

(Novum Testamentum in Vetere late Vetus Testamentum in Novo patet)

(العهد الجديد هو إتمام العهد القديم). يسوع المسيح هو الماسيّا الذي تكلّم عنه الأنبياء. فيه تحقّقت كل الوعود والتوقعات. الناموس والإنجيل متلائمان. ولا يستطيع أحد أن يدّعي بأنّه من أتباع موسى الحقيقيين إلاّ إذا آمن بأن يسوع هو رب. إن كل مَن لا يدرك بأن يسوع هو الماسيّا، مسيح الرب، يخون بذلك الشريعة القديمة نفسها. وحدها كنيسة المسيح تحتفظ الآن بالمفتاح الصحيح للكتاب المقدّس، المفتاح الحقيقي للنبوءات القديمة. لأن كل هذه النبوءات تحققت بالمسيح.

يرفض القديس يوستينوس الاقتراح بأن العهد القديم هو صلة ربط بين الكنيسة والهيكل اليهودي. بالنسبة له العكس صحيح تمامًا. يجب رفض الادّعاءات اليهودية بشكل منهجي. لم يعد العهد القديم ينتمي لليهود بل هو يخص الكنيسة وحدها وبالتالي كنيسة المسيح هي إسرائيل اللّه الحقيقية الوحيدة. لم تكن إسرائيل القديمة سوى كنيسة غير نامية. بحسب استعمالها في كنيسة الفترة الأولى، كلمة «**الكتب**» ذاتها عنَت قبل كل شيء العهد القديم وبهذا المعنى تُستعمَل بشكل جلي في قانون الإيمان «**كما جاء في الكتب**»، أي بحسب نبوءات الشريعة القديمة ووعودها.

✣ وحدة الكتاب المقدّس

يستَشهد الكُتّاب الأوائل بالعهد القديم بغزارة. وحتى بالنسبة للأمم، كانت رسالة الخلاص دائمًا تُقدَّم بإطار العهد القديم. هذا كان حجة منذ القدَم. لم يلغِ المسيح العهدَ القديم لكنه جدّده وأتَمّه. بهذا المعنى لم تَكن المسيحية دينًا جديدًا. ببساطة دُمجت الكُتب المسيحية الجديدة بالكتاب اليهودي الموروث على أنها تتمته العضوية. وَوَحْدَهُ الإنجيل كاملاً، أي العهدان معًا، إعتُبر السجلّ الوافي للوحي المسيحي. لم يكن هناك أي انقطاع بين العهدين بل وحدة من التدبير الإلهي.

وقد كانت المهمّة الأولى للاهوت المسيحي إظهار وشرح كيف أن الشريعة القديمة كانت تهيئة وتوقعًا لإعلان اللّه النهائي في يسوع المسيح. لم تكن الرسالة المسيحية مجرد إعلان لبعض العقائد، بل هي قبل كل شيء سجل لأعمال اللّه العظيمة وأفعاله عبر العصور. لقد كانت تاريخًا للإرشاد الإلهي بلَغَ ذُروته في **شخص المسيح يسوع** الذي أرسله اللّه ليفتدي شعبه. لقد اختار اللّه إسرائيل لميراثه، ليكون شعبه وحافظ حقيقته، ولهذا الشعب المختار وحده أوكِلَت الكلمة الإلهيّة. والآن تسلّمت الكنيسة هذا الميراث.

لقد اعتُبر العهد القديم بأكمله نبوءة مسيحية و«**تهيئة إنجيلية**». منذ وقت مبكر جُمّعت بعض المختارات الخاصة من نصوص العهد القديم واستعملها المبشرون المسيحيون. من أفضل عيّنات هذا النوع هي شهادات القديس كبريانوس (*Testimonia*). وقد حاول القديس يوستينوس في حواره مع تريفو أن يثبت حقيقة المسيحية من العهد القديم.

محاولة الماركيونيين قطع العهد الجديد عن جذوره في القديم قوبلت بمقاومة نشيطة، وأُدينَت من الكنيسة العظمى. لقد أُكِّدَت وحدة العهدين بقوة وشُدّد على انسجامهما الداخلي. لقد كان هناك دائمًا بعض الخطر من قراءة الكثير من العقيدة المسيحية في كتابات العهد القديم. وقد عُتِّم المنظار التاريخي أحيانًا بشكل خطير. ولكن لن يزل هناك حقيقة عظيمة في كل هذه المساعي التفسيرية. لقد كان هذا شعورًا عظيمًا بالتوجيه الإلهي عبر العصور.

✣ العهد القديم كقصة رمزية

تاريخ تفسير العهد القديم في كنيسة الأزمنة المسيحية الأولى هو من أكثر الفصول اهتزازًا وإرباكًا في تاريخ العقيدة المسيحية. ورثت الكنيسة بعض التقاليد التفسيرية مع العهد القديم اليوناني. فيلو، اليهودي المتهلّن من الإسكندرية، كان من أفضل الممثلين لهذا المسعى ما قبل المسيحي لاستيداع العهد القديم للأمم. لقد اختار لهذه المهمة طريقة فريدة جدًا هي المجاز. لم يكن لفيلو أي فهم للتاريخ. لقد أغفل الحوافز المسيانية أو أهملها في فلسفته للكتاب. بالنسبة له، الكتاب كان فقط نظامًا للفلسفة الإلهية أكثر مما هو تاريخ مقدّس. وعلى هذا الأساس لم يكن للأحداث التاريخية أي

أهمية أو شأن بالنسبة إليه. لقد كان الكتاب المقدّس بالنسبة له كتابًا واحدًا فشل في أن يتبيّن فيه أيّ منظار أو تقدّم تاريخي. لقد تعاطى معه بالواقع كمجموعة من الحكايات الرمزية المجيدة والقصص التعليمية المعدّة لحمل بعض الأفكار الفلسفية والأخلاقية وتصويرها.

لم تقبل الكنيسة هذه الطريقة الرمزية بهذا الشكل المتطرف. ومع ذلك، ينبغي الإقرار بتأثير فيلو القوي على كل المقالات التفسيرية في القرون الأولى. لقد استعمل القديس يوستينوس فيلو كثيرًا.

برنابا المنحول (أوائل القرن الثاني) ذهب حتى إلى إنكار الصفة التاريخية للعهد القديم. لقد تبعت مدرسة الإسكندرية المسيحية التقاليد الفيلونية. وحتى لاحقًا، القديس أمبروسيوس كان يتبع فيلو إلى حد بعيد في تعليقاته ومن الممكن تسميته بحق *Philo latinus*. لقد كان هذا التفسير الرمزي ملتبسًا ومضللاً.

لقد مرَّ وقتٌ طويلٌ قبل أن يُستعاد التوازن ويتثبّت. ومع هذا ينبغي أن لا يغفل المرء عن المساهمة الإيجابية لهذه الطريقة. أفضل ممثل للتفسير المجازي في الكنيسة كان أوريجنس وتأثيره كان هائلاً. قد يُفاجأ المرء بجرأته التفسيرية وانحرافه. لقد اعتاد بالواقع أن يقرأ الكثير من عنده في النص المقدّس. لكن وصفه بالفيلسوف يكون خطأً مريعًا. لقد كان قبل كل شيء وطوال الوقت باحثًا كتابيًا، طبعًا بأسلوب زمنه. لقد قضى أيامًا وليالي على الكتاب المقدّس. هدفه الرئيسي كان فقط تأسيس كل عقيدة وكل لاهوت على أساس كتابي. لقد كان مسؤولاً إلى حدٍّ كبير عن قوة الروح الإنجيلية في كل اللاهوت الآبائي. قدّم الكثير للمؤمن العادي إذ جعل الكتاب المقدّس سهل المنال بالنسبة إليه. كان دائما يُدخل العهد القديم في تعليمه. لقد ساعد المؤمن العادي على قراءة العهد الجديد ليتقدّس به. وشدّد دائمًا على وحدة الكتاب المقدّس واضعًا العهدين في علاقة أقرب. لقد قام بمحاولة جديدة لبناء عقيدة الله بأكملها على أساس كتابي.

إنّ قصور أوريجنس واضحٌ لكنّ مساهمته الإيجابية أكبر بكثير. فبمثاله علَّم اللاهوتيين المسيحيين أن يعودوا دائمًا إلى نصوص الكتب المقدّسة ليستلهموها. لقد تبع أغلب الآباء خطّه وفي الوقت نفسه لَقِيَ مقاومة شديدة. ليس من مجال هنا للخوض مطوّلاً في الجدل بين مدرستي التفسير في كنيسة القرون الأولى، فالمعالم الأساسية معروفة إجمالاً. المدرسة الأنطاكية توقفت عند التاريخ بينما اهتمّ الإسكندريون بالتأمّل. وبالتأكيد ينبغي جمع العنصرين بتركيبة متوازنة.

✣ التاريخ أو الوعظ

لقد كان الافتراض الاسكندريّ الأساسيّ بأن الكُتب، كونها

آباء الكنيسة العظام باسيليوس الكبير وغريغوريوس اللاهوتي ويوحنا الذهبيّ الفم

ملهَمة من الله، تحمل في طياتها رسالة كونية لكل الأمم والعصور. هدفُ الكتب بالتّمام هو عرض هذه الرسالة واكتشاف كل هذه الثروات، التي حفظتها الحكمة الإلهية بعناية في الكتاب، وتعليمها. تحت حرف الكتابات المقدّسة بعض الدروس التي ينبغي بالمتقدمين تعلّمها. خلف كل السجلاّت البشرية لظهورات اللّه المتنوّعة يمكن للمرء أن يتبيّن الوحي الإلهي وأن يفهم كلمة اللّه في كل بهائها الخالد.

لقد إفتُرض أنّه حتى عندما تكلّم اللّه في ظلِّ بعض الظروف كان في كلامه دومًا ما يتخطّى كل القيود التاريخية. على المرء أن يميّز بتأنٍ بين النبوءة المباشرة وما يمكن وصفه كتطبيق لها. يمكن للكثير من روايات العهد القديم أن تُنَوِّر المؤمن حتى ولو لم يكن الكاتب قد قصد فيها أي تصوير مسبق لحقيقة مسيحية ما. إن الافتراض المسبَق الأساسي كان بأنّ اللّه أراد أن تكون الكتابات المقدّسة الدليل الأبدي لكل الجنس البشري. وبالتالي كان جائزًا استعمال العهد القديم أو إعادة تفسيره بشكل محترم.

اهتمّ التفسير الأنطاكي بالمعنى المباشر للروايات والنبوءات القديمة. الشارح الأبرز لهذا التفسير التاريخي كان ثيودور المبسويستي المعروف في الشرق بالمفسّر. ومع أن مرجعيته تعرّضت للشبهة بشكل خطير لإدانته بسبب تعاليمه الخاطئة، إلاّ إن تأثيره على التفسير المسيحي للعهد القديم ما يزال مهمًا جدًا. هذا التفسير التاريخي كان غالبًا في خطر فقدان المعنى الكوني للوحي الإلهي عن طريق التشديد المفرط على الأوجه المحلية والقومية في العهد القديم. وأكثر من ذلك، في خطر فقدان المنظار الإلهي والتعاطي مع تاريخ العهد القديم وكأنه تاريخ شعب واحد بين أمم الأرض وليس تاريخ ميثاق الله الحقيقي الوحيد.

لقد دمج القديس يوحنا الذهبي الفم أفضل العناصر من المدرستين في مسعاه التفسيري. لقد كان عالمًا أنطاكيًا لكنه كان في كثير من الأوجه من أتباع أوريجنس أيضًا. قد تكون الرمزية مضللة ولكن على المرء ألاّ يهمل المعنى النموذجي للأحداث. مؤسسات العهد القديم وشخصياته كانوا أيضًا نماذج ورموز للأشياء القادمة. التاريخ نفسه كان نبويًا. فالأحداث نفسها تتنبأ، وهي تنبأت مشيرة إلى شيء ما يتخطاها. يصعب وصف الآباء الأوّلين بالأصوليين. لقد كانوا دائمًا يسعون وراء الحقيقة الإلهية ووراء الرسالة الإلهية نفسها التي غالبًا ما كانت محتجبة خلف ستار الحرف. بالكاد استطاع الإيمان بالوحي أن يعيق الميل الأصولي. لا يمكن تحويل الحقيقة الإلهية إلى حرف حتى ولو كان الكتابات المقدسة. أحد أفضل نماذج التفسير الآبائي هو الأيام الستة *(Hexameron)* للقديس باسيليوس الذي نجح في تقديم الحقيقة الدينية للرواية الكتابية عن الخلق بتوازن حقيقي واعتدال لا عيب فيه.

✣ العهد القديم والعبادة المسيحية

انعكس الموقف الآبائي من العهد القديم في تاريخ العبادة المسيحية. الجذور اليهودية لليتورجيا المسيحية واضحة، لكن نظام العبادة المسيحية العمومية كان مرتبطًا بشدّة بممارسة المعبد اليهودي أيضًا. المزامير هي ميراث من اليهود وقد صارت نموذجًا لكتابة الترانيم في كنيسة القرون الأولى. إلى اليوم، تشكّل المزامير الهيكل العظمي لكل الخدم المسيحية وقد كانت الأساس لكل الأدب التعبدي في الأيام القديمة.

يتأثّر دارس العبادة العامة في الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية بكثرة الإشارات والتلميحات والصور التي من العهد القديم، في كل خدم هذه الكنيسة وترانيمها، ما يؤكّد وحدة العهدين. الحوافز الكتابية غزيرة والكثير من الترانيم ليست سوى أشكال مختلفة لنمط تراتيل العهد القديم، من ترنيمة موسى عند اجتياز البحر الأحمر إلى نشيد زخريا والد يوحنا المعمدان. وقد حُدِّدَ في الأعياد الكبيرة عددٌ من فصول العهد القديم التي تُقرأ للتشديد على أن الكمال المسيحي ليس سوى تحقيق لما سبق تصويره وأُنْذِرَ به أو حتى أُعلنَ مباشرةً منذ القديم. ويُشدّد بشكل خاص على هذا الاستعداد من العهد القديم في خدم الأسبوع العظيم. ترتكز كل العبادة على هذه القناعة بأنّ الميثاق الحقيقي كان دائمًا واحدًا، وبأنّه كان هناك دائمًا توافق كامل بين الأنبياء والرسل. وقد تأسّس كل هذا النظام لاحقًا في العصر الآبائي.

يُقرأ القانون الكبير للقديس أندراوس الكريتي في صلاة النوم الكبرى في الصوم الكبير. بين الأمثلة المختلفة عن الكتابة العبادية، هذا القانون هو الأكثر لفتًا للنظر. إنه حضّ قويّ ومناشدة على التوبة، مُؤَلَّفٌ بإلهام شعريٍّ حقيقيّ ، ومرتكز على الإنجيل. فيه يتم تذكّر كل سلسلة خطأة العهد القديم، التائبين منهم وغير التائبين. قد يضيع المرء في هذا الدفق المستمر للأسماء والعِبَر. يتذكّر المسيحي بشكل رائع أن قصة هذا العهد القديم تخصّ المسيحيين. المسيحي مدعو إلى التفكير مرة وتكرارًا في هذه القصة الرائعة عن التوجيه الإلهي والعصيان والسقطات البشرية. إنّ العهد القديم محفوظ ككنز ثمين. على المسيحي أن يشير أيضًا إلى تأثير نشيد الأنشاد على نشوء النسك المسيحي. لقد كان تعليق أوريجنس على هذا السفر، برأي القديس أيرونيموس، أفضل مؤلّفاته إذ فيه تخطّى نفسه. كما أنّ التفسير النسكي للقديس غريغوريوس النيصّي لنشيد الأنشاد هو منجم غني للوحي المسيحي الأصيل.

✣ العهد القديم ككلمة الله

إن آباء الكنيسة العظام هم مَن حفظ كل كنوز العهد القديم وجعلوها إرثًا لا غنى عنه للكنيسة، في العبادة كما في اللاهوت. الشيء الوحيد الذي لم يفعلوه هو أنّهم لم يتوقفوا عند القصور اليهودي. فالكتابات المقدسة كانت بالنسبة لهم إعلانًا أزليًا وكونيًا وهي موجّهة الآن إلى الجنس البشري لأنها، ببساطة، وُجِّهت إلى كل الأمم من الله نفسه حتى عندما كانت كلمة الله منقولة من الأنبياء إلى الشعب المختار وحده. هذا يعني أنّه غير ممكن قياس عمق الإعلان الإلهي بمقياس بعض الأوقات الغابرة مهما كانت هذه الأوقات مقدّسة. لا يكفي أن نكون أكيدين من أنّ اليهود القدامى فهموا الكتاب المقدس وفسّروه بطريقة ما إذ لا يمكن أن يكون هذا التفسير نهائيًا. إنّ الذي أتى فقط ليتمّ الناموس والأنبياء قد سلّط ضوءًا جديدًا على الإعلانات.

ليست الكتابات المقدسة مجرّد وثائق تاريخية. إنّها بالحقيقة كلمة الله والرسالة الإلهية لكل الأجيال. **ويسوع المسيح هو ألف الكتاب المقدس وياؤه، ذروة الإنجيل وعقدته.**

هذه هي رسالة الآباء القائمة إلى كل الكنيسة حول التدبير القديم.

القناعة كنز لا يفنى

حَتَّى مَتَى أنـا في حِـلٍّ وَتَرْحـــالِ
وَطُـولِ شُغْـلٍ بِأَدْبـــارٍ ،إِقبَـــالِ
بِمشْرِقِ الأرضِ طـورًا ثُمَّ مَغربِها
لا يخطُرُ الموتُ مِن حِرْصٍ على بالي
ونـازِحِ الـــدّارِ مـا انفكَّ مغتربـًا
عـنِ الأحبّةِ مـا يَدْرون ما حـــالي
ولو قَنعْتُ أتـاني الرّزقُ في دَعَـةٍ
إنَّ القَنـوعَ الغِنَى لا كثـرةُ المـــالِ

لا يجب أن يكون الإنسان المسيحي متعصباً.

للقديس پايسيوس الآثوسي

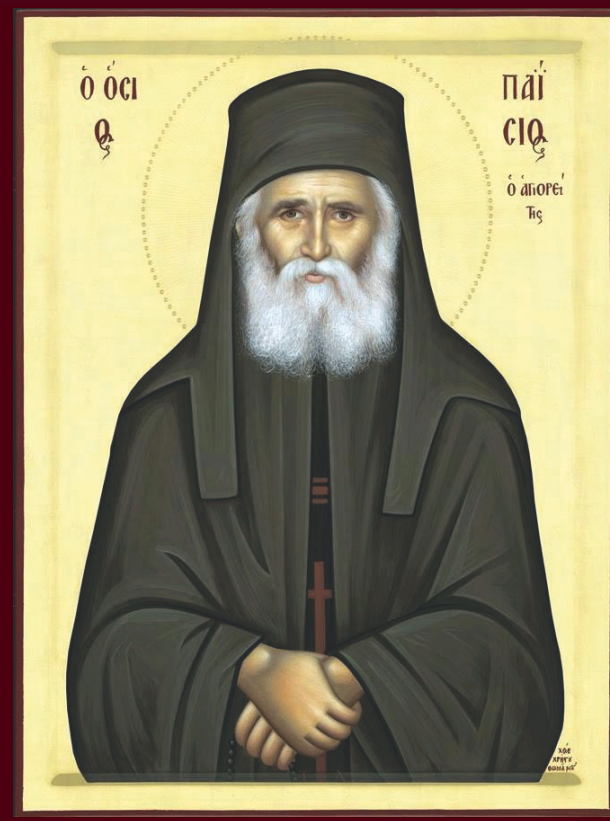

يجب ألاّ يكون الإنسان المسيحي متعصبًا.

يجب أن يكون محبًا، وأن يراعي شعور جميع الناس.

أولئك الذين يقذفون التعليقات بشكل متهور فظّ، حتى لو كانت صحيحة، من شأنها أن تسبب ضررًا.

إلتقيت مرّة شخصًا لاهوتيًا تقيًا للغاية، ولكن لديه عادة التحدث مع الناس العلمانيين الذين حوله بطريقة حادة جدًا. كانت طريقته تخترقهم بعمق لدرجة أنها كانت تهزهم بشدة. قال لي ذات مرة: «خلال إجتماع ما، أنا قلت كذا وكذا لسيدة». ولكن الطريقة التي قال بها الكلام سَحَقَتْهَا. قلتُ له: «انظر ... ربما أنت تقذف الآخرين بتيجان ذهبية مرصّعة بالماس، ولكن الطريقة التي ترمي بها يمكنها أن تسحق الرؤوس، وليس فقط الرؤوس الحساسة، بل تلك الصحيحة أيضًا.»

دعنا لا نرمي الأحجار على رفقائنا في الإنسانية بما يسمى بـ «طريقة مسيحية.» إن الشخص الذي يفحص ـ في وجود الآخرين ـ إذا كان شخص ما قد قام بخطأ، (أو الذي يتكلم بطريقة حماسية مهينة عن شخص معين)، لا يكون مدفوعًا من روح اللّه. أنه يتم تحريكه بواسطة روح آخر.

أنَّ طريقة الكنيسة هي المحبة، وهذا الأسلوب الكنسي يختلف عن الأسلوب القانوني . الكنيسة ترى كل شيء من خلال التسامح وتسعى لمساعدة كل شخص، أيا كان الفعل الذي فعله، ومهما كان حجم الخطأ الذي ارتكبه.

لقد لاحظتُ نوعًا غريبًامن المنطق عند بعض الناس الأتقياء. إنَّ تقواهم هو شيء جيد، واستعدادهم من أجل الخير هو أيضًا شيءٌ جيد. غير أنه ينقصهم التمييز الروحي واتساع القلب، بحيث لا تكون تقواهم يرافقها ضيق الأفق أو القسوة الشديدة. الشخص الروحاني حقًا يجب أن يمتلك التمييز الروحي ويجسّده بتصرفاته. خلاف ذلك، سيبقى إلى الأبد متعلقًا بـ «**حرفية الناموس**»، وحرفية الناموس يمكن ان تكون مميتة للغاية.

والشخص المتواضع حقًا لا يتصرف أبدًا وكأنه مُعلم ؛ انه سوف يستمع للآخرين، وكلما طلب أحد رأيه سوف يجيب بتواضع. وبعبارة أخرى، سوف يجيب وكأنه مازال طالبًا. الذي يؤمن بأنه قادر على تصحيح الآخرين هو إنسان مليء بالغرور.

والشخص الذي يبدأ بعمل أمر ما بنية حسنة، ثم يصل في نهاية المطاف إلى أمر متطرف، يفتقر إلى التمييز الصحيح. إنَّ أفعاله تُجسد نوعًا ما من الأنانية الكامنة التي كانت مخبأة تحت هذا السلوك. إنه لا يعرف بوجودها، لأنه لا يعرف نفسه بشكل جيد، ولهذا السبب يذهب إلى التطرف.

هذا يذكرنا بمحاربي الأيقونات المدافعين عن الأيقونات. المجموعة الأولى تطرفت باتجاه، والمجموعة الثانية تطرفت باتجاه آخر ! مجموعة وصلت في نهايةً المطاف إلى كشط أيقونة المسيح وإلقاء الغُبار في الكأس المقدسة، بحيث يمكن أن يصير القربان المقدس على نحو أفضل، والمجموعة الثانية أحرقت الأيقونات وقذفت بها بعيدًا. هذا هو السبب الذي أجبر الكنيسة على وضع الأيقونات عالية، وعندما عبر وقت الإضطهاد، سمحت بوضع الأيقونات بشكل منخفض في الكنائس، حتى نتمكن من التبارك منها وإكرام الشخص صاحب الأيقونة. ليتنا نقتدي بالربّ القائل: «تعلموا مني لأني وديعٌ ومتواضعُ القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم ». (مت ١١: ٢٩).

في الأهواء التمانية

لأبينا القديس كسيانوس الرومي

٥ ـ الغمّ او الاكتئاب

نقله الى العربية: الأب منيف حمصي

جهادُنا الخامس هو ضدُّ شيطان الغَمّ والاكتئاب الذي يُعيق قدرةَ نفوسنا عن التأمّل الروحيّ. مُبعدًا ايّاها عن الأعمال الصالحة. عندما يُمسكُ هذا الشيطانُ الخبيثُ وَالماكرُ بنفوسنا، فإنّه يجعلُها شديدةَ السَّواد والظّلمة، ومن شأنه أيضًا، أن يَحول دون قيامنا بالصّلاة بفرح ، ودون مُطالعة الأسفار المقدَّسة من أجل المنفعة والتقدّم، لا بَل يمنعنا من اللطفَ والدماثة والحبّ الذي ينبغي أن نُبديه تجاه إخوتنا، فيبثّ الكراهية في كلّ أعمالنا، حتّى في المسائل الرهبانية نفسها، ويدوس كلّ القرارات التي تعمل لخلاص النفس، ويخلخلها ويهزّ ثباتها، تاركًا ايّاها بدون إحساس، مقعدةً ومرتبكة بأفكار اليأس والاحباط. واذا كانت غايتنا وقصدنا ان نجاهد الجهاد الروحي الحسَن، ونهزم ابليس بقوّة العون الالهيّ، فهذا يعني أنه علينا أن ننتبه كثيرًا كي نصون قلوبنا بازاء شيطان الغمّ والاكتئاب. وكما أنَّ العثّ يقرض الثياب، والدودة الخشب، هكذا يلتهم الغمّ والاكتئاب نفس الانسان. فهو يقنعه أن يرفضَ كلّ مواجهة نافعة، ويحرّضه على رفض كلّ نصيحة يُسديها له اصدقاؤه المخلصون، كما ويحول دون تقديمه لهم أيَّ جواب سلامي ولطيف. واذ يُحكم قَبْضَتَهُ على النفس برمّتها، يملأها للحال مـرارةً وكسـلاً وتوَانيًا. ومن ثَمَّ يوحي لها انه يجب عليها ان تتجنّب البَشر كلّهم، لأنهم سبب اضطرابه. كذلك فإنه لا يسمح للنفس ان تفهم انَّ مرضها ليس من خارج، بل هو رابضٌ في داخلها، ويعتلن عند التجارب التي تنزل بالنفس بسبب الجهادات الروحية.

والانسان يمكنه ان يتأذى على يد انسان آخر، وذلك بفعل الاهواء الرابضة فيه. لهذا السبب فإن الله الخالق وطبيب النفوس والأجساد، عنده وحده فقط المعرفة التّامة والكاملة بجراحات النفوس والاجساد، وهو وحده لا يطالبنا ان نهجر الشركة مع البشر. فهو يوصينا ان نستأصل أسباب الشرّ الذي فينا، ويعلّمنا أنَّ صحة النفس تتحقّق لا عندما ينعزل الانسان عن اخوته بني البَشر، بل عندما يحيا في الجهاد في شركة اناس قديسين. نحن عندما نهجر اخوتنا لأسباب حسنة ومقبولة، لا نستأصل دوافع الاكتئاب والغمّ، بل نبدّلها، فالمرض الكامن في داخلنا يبرز للحال مع الأحوال والظروف الأخرى المختلفة. ومن الواضح أن حربنا هي ضدّ الأهواء ـ التي في داخلنا. وهذه ـ أي الاهواء، عندما تُقتَلع من تربة قلوبنا بفعل النعمة الالهيّة التي تعيننا، للحال نتمكنّ من العيش،ليس فقط مع سائر الناس،بل مع الوحوش المفترسة ايضًا.

ويؤكّد لنا أيوب الصدّيق هذا الكلام، فيقول: «وتكون وحوش البريّة بسلام معكم» (ايوب ٢٣:٥). في البداية، علينا ان نجاهد ضدّ شيطان الاكتئاب والغمّ الذي يدأب على طرح النفس في جُبّ اليأس والقنوط. وبعد ذلك، ينبغي ان نطرده من قلوبنا. فهذا الشيطان نفسه هو الذي لم يسمح لقايين ان يتوب بعد ان قتل اخاه، ولم يسمح ليهوذا ان يتوب بعد ان خان المعلّم. أمّا الشكل الوحيد للاكتئاب الذي يليق بنا ان نغرسه في داخلنا فهو الحزن الذي يصاحب التوبة والرغبة بالاقلاع عن الخطايا، وهذا يقترن عادة بالرجاء الاكيد بالله. والرسول الإلهي تكلّم عن هذا النوع من الغمّ والحزن فقال: «لأن الحزن الذي بحسب مشيئة اللّه ينشىء توبة للخلاص بلا ندامة. واما حزن العالم فينشىء موتًا» (٢كور ١:٧). وهذا الحزن المُرضي لله، من شأنه ان ينعش النفس بالرجاء المغروس في التوبة ، لهَذا فهو ممزوج بالفرح والغبطة. ولهذا السبب فإن من شأنه ان يجعلنا نطيع اللّه ونتوق الى عمل الخير: انه متواضع، لطيف، حليم، صبور، ويحتمل كل الضيقات والآلام التي يسمح الله أن تنزل بنا. واقتناء الفضائل، فيه كل الدليل ان الانسان بات يحمل ثمار الروح القدس: «المحبة، الفرح، السلام، طول الأناة، الخير، الايمان، والعفّة» (غلاطية ٢٢:٥٩.). اما النوع الآخر من الحزن، فمنه نتعلّم ما هي ثمار ابليس، وأعني بها الكَسَل، انعدام الصبر، الغضب، الحقد، الزُّهُوُّ، اليأس، والملل في الصلاة. لذا علينا ان نتجنّب هذا النوع من الحزن وكل ما يتولّد عنه، واعني: النجاسة، الطمع، الغضب، وسائر الاهواء الاخرى. والنفس يمكنها ان تَشفَى بالصلاة والرجاء باللّه، فضلاً عن التأمّل في الأسفار الإلهيّة والعيش مع أناس قديسين.

(نتلمس من خلال هذا الوعظ أن القديس كسيانوس الرومي، يرى ضمانة التقدّم الروحيّ في أن يعيش الانسان مع اخوة، في شركة، لا ان ينعزل وينفرد بنفسه. وما من شكّ أنه يُحبّ النُسك، لكنه يخاف ـ اذا جاز التعبير ـ ان يتكلم عنه او يدعو اليه. ولعل كل هذا لأنه يرى النصرة الروحيّة في الشركة لا في العزلة، في محبة الآخرين لا في الابتعاد عنهم، في الصبر عليهم، لا في الهرب من ضعفاتهم وعيوبهم والحزن الناجم عن معايشة اهوائهم).

الأرثوذكسيّة
قانون إيمان لكل العصور
(٣٦)

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

ممَّ الخلاص ؟

هذا يقودنا إلى السؤال: ممَّ يُخَلِّصنا المُخَلِّص ؟

الكتاب المقدَّس يُسمِّي هذا الشيء الخطيئة. الإنسان الحديث يجد أسماء أُخرى له، يُسميه أحيانًا الجريمة، اليأس، الفراغ، الضجر، اللامعنى، الموت. إننا نعيش في زمن الاستنزاف الروحي والقنوط والاكتئاب، مثل مَن يجوع إلى ميلاد المسيح. عندما تفقد الحياة معناها فإنها تَصير فارغة. إنَّ روتين الحياة يصير كئيبًا ومنبوذًا حتى يجعل الناس يعملون أعمالاً جنونيّة في محاولة لكَسر الرتابة المُملَّة لإيجاد معنى للحياة.

إنّ علماء الاجتماع يقولون الآن إنَّ أعظم مشكلة للشباب اليوم ليست الجنس ولا العقاقير، إنَّما الضَجَر واليأس. إنَّ المَلل والضَجَر هما اللذان يُؤدِّيان إلى العقاقير. عندما يُحدث الشباب شَغَبًا في مكان ما ويُسألون: «**ما الخطأ حتى آثرتُم هذا الشغب وتسبَّبتم في هذه الأضرار الفادحة؟**» . يُجيبون: «**مُجَرَّد التمرُّد**». عندما لا يصير للحياة معنى أو هدف، فإننا نُصبح سجناء الضيق والسأم، ومن ثَمَّ فإننا نعمل أي شيء لنتخلّص منهما.

الفراغ، اللامعنى، القنوط، كل هذه تتكلَّم عن حاجة الإنسان إلى مُخَلِّص، وبعد ذلك يأتي الشعور المتلازم للجريمة الذي يجعلنا نكره أنفسنا والآخرين، ويُسَبِّب المَلل والاشمئزاز من العالَم وكل ما فيه إلى درجة الغثيان والقيء.

ويبقى في النهاية **آخر وأعظم عدو: الموت**. إن أعمق خوف للإنسان يكون من الموت، لأنه لا يستطيع أحد أن يهرب منه. كل واحد منّا يموت ببطء كل دقيقة في كل يوم. مَن ذا الذي لا يحتاج إلى مُخَلِّص من الموت ؟

شَعَرَ القدِّيس بولس باحتياجه العظيم للخلاص في حياته، وهو يعكس اختبار كل إنسان عندما يكتُب:

«لأنّي لستُ أعرف ما أنا أفعله، إذ لستُ أفعل ما أُريده، بل ما أُبغضه فإيَّاه أفعل. لأن الإرادة حاضرة عندي، وأمَّا أن أفعل الحُسنى فلستُ أجد، لأنّي لستُ أفعل الصالح الذي أُريده بل الشرّ الذي لستُ أُريده فإيَّاه أفعل، ويحي أنا الإنسان الشقيّ، مَن يُنقذني من جسد هذا الموت ؟ »(رو ٧).

تصوَّر نفسك راقدًا في مستشفى مُنتظرًا أن تموت من المرض القاتل الذي قيل لك عنه، تجد نفسك راقدًا كئيبًا بلا عزاء خائفًا من الموت، ثمّ يأتي الطبيب فجأة ويقول لك: «نعرف طريقًا لعلاجك من مرضك، لن تموت منه» . لابدّ أن هذا هو الفرح الذي اختبره القدِّيس بولس عندما كَتَبَ: «شُكرًا للّه بالمسيح يسوع ربنا» (رو ٧:٢٥).

ما هو هدف الخلاص ؟

إنَّ الكلمة الأخيرة للّه ليست الخطيئة بل الخلاص. كل كلمة يقولها الله عن الخطيئة في الإنجيل يقابلها عَشْرُ كلمات عن الخلاص. مع أنَّ الإنسان بعيد عن اللّه، إلاَّ أنّه يمكن أن يعود إليه وحتى لو كان ميّتًا في الخطايا فإنه يمكنه أن يحيا. ولو كان مفقودًا فإنه يمكنه أن يوجَد، ولو كان هالكًا يمكنه أن يَخْلُص. هذه هي: «الأخبار السّارة في الانجيل التي تؤدي الى الفرح العظيم».

الخلاص يعني طريقًا إلى الخارج، مخرَجًا من الذنب، مخرجًا من الجريمة، مخرجًا من الموت. الخلاص يعني الحريَّة لنبلُغ إلى ملء قامة الإنسانيّة، لنصل إلى القوّة الكامنة فينا. هذه هي الرؤيا الإيجابيّة للخلاص كما تنظرها الكنيسة الشرقية وتؤكّدها. إن الخلاص في الكنيسة الأرثوذكسيّة لا يعني فقط التبرير أو غفران الخطايا بقدر ما يعني إعادة وتجديد وشفاء صورة الله في الإنسان، ورَفع البشريَّة الساقطة إلى حياة الله الذاتيّة نفسها بالمسيح. المسيح يُسامح الإنسان ويُعتقه من الخطيئة ليتقدَّم إلى كمال غايته، ألا وهي أن يصير مثل اللّه بالنعمة.

٢٠ ـ المسيح يعلن سموّ لاهوته

يكفيك لتقواك أن تعرف، كما قلنا، أنَّ للّه ابنًا واحدًا، وُلِدَ بحسب الطبيعة. إنه لم يبدأ كيانه عندما وُلِدَ في بيت لحم، بل هو كائن قبل كل الدهور. إسمع ما يقول النبي ميخا: «وأنت يا بيت لحم، بيت أفراته، انك لست الصغيرة في ولايات يهوذا، فمنك يخرج وال يرعى شعبي اسرائيل. ومخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل» (ميخا ٥:٣ ؛ متى ٢:٦). لا تتعلّق إذن بالمولود الآن في بيت لحم، بل اعبد المولود أزليًا من الآب. لا تسمع للذي يتكلّم في البدء الزمني، بل اعترف أنَّ الآب أزليّ لا زمن له. لأنّ مبدأ الابن هو الآب الأزلي، غير المدرَك، الذي لا يرأسه أحد. فينبوع نهر العدل (مز٤٥:٥)، ينبوع الابن الوحيد، هو الآب الذي ولَدَه ويعرفه وحده. وهل تريد أن تعرف أنَّ ربنا يسوع المسيح هو مَلِكٌ أزَليّ ؟ إسمعه يقول: «إبتَهَجَ أبوكم إبراهيم على رجاء أن يرى يومي ورآه وفَرِحَ » (يو٨:٥٦). ولما استصعب اليهود قبول كلامه، قال لهم ما هو أصعب: «قبلَ أن يكون إبراهيم أنا كائن» (يو٨:٥٨). وقال في موضع آخر ، مُحَدِّثًا الآب: «فمجّدني الآن، يا أبَت، بما كان لي من المجد عندك قبل أن يكون العالم» (يو١٧:٢٤). إنه يقول بوضوح: «لي مجد أزلي عندك».

٢١ ـ المسيح صانع الكون

فلنؤمن إذن «برب واحد يسوع المسيح، ابن اللّه الوحيد، » «مولود إله حقّ من الآب قبلَ كلّ الدهور، الذي به كان كلّ شيء» (يو١:٣) ، سواء أكانت العروش أم السيادات، الرئاسات أم السلاطين، (كولوسي ١:١٦)؛ كلّ شيء به كُوِّن، ولا شيء مما كُوِّن يخرج عن سلطانه. فلتسكت كل هرطقة تنادي بصنّاع وخالقين مختلفين للعالم. فليخرس كل لسان يجدّف على المسيح ابن اللّه. وليسكت كل الذين ينادون أنَّ المسيح هو الشمس. لأنه هو خالق الشمس، وليس هو هذه الشمس التي تُرَى. وليصمت هؤلاء الذين يقولون إنَّ العالم هو من صُنع الملائكة، الذين يريدون أن يجرّدوا الابن الوحيد من هذه الكرامة. لأن الأشياء المنظورة وغير المنظورة، والعروش والسيادات، وكلّ ما له اسم يُسَمّى به (أفسس ١:٢١)، كلّ شيء كُوِّن بالمسيح. إنه يسود على كُل ما صَنَعَ ؛ انه لا يسلب شيئًا لأحد؛ ولكنه يملك على جميع صنائعه، على حدّ قول الإنجيليّ: «به كان كلّ شيء، وبغيره ما كان شيء» (يو١:٣) ؛ «كُلّ شيء به كُوِّن» ، أي أنَّ الآب كان يعمل بواسطة الابن.

٢٢ ـ مقارنة لإيضاح التعاون الخلاّق بين الآب والابن

أودّ أن أقَدّم مثلاً على ما قلته، ولكني أعلم أنّه سيكون ضعيفًا، لأنه من المستحيل علينا أن نجد بين الأشياء المنظورة مثلاً يمكن تطبيقه على القدرة الإلهيّة غير المنظورة. ومع ذلك سأقول مثلاً، وإن كان ضعيفًا وقائله ضعيفًا، والمستمعون ضعفاء: كما أنَّ مَلِكًا له ابنٌ ملكٌ ، أراد أن يؤسّس مدينة، إقترح على ابنه المالك معه أن يؤسّس المدينة. فأخذ الابن الرسم المقترح وقام بتنفيذه على أحسن ما يرام. هكذا كان الآب يريد أن يخلق كل شيء، فَكَوَّنَ الابنُ كلَّ شيء بموافقة الآب، بحيث أنَّ هذه الموافقة تركت للآب سلطته المطلقة، وكانت للإبن سُلطته على أعماله الخاصّة. ولم يُحرَم الآب من سُلطته على أعماله، ولم يتسلّط الابن على خلائق من صُنع غيره، بل على أعماله الخاصّة. لأنها، كما قُلنا، ليست الملائكة التي خلقت العالم، بل الابن الوحيد المولود قبل كل الدهور، كما قُلنا، الذي به كان كلّ شيء وبغيره ما كان شيء. وحتى ما قُلناه الآن يرجع الفَضل فيه الى نعمة المسيح.

٢٣ ـ الكتاب المقدّس يعلّم التعاون الخلاق

الآن وقد أتينا على تفسير ما يقوله قانون الإيمان. فَلْنَصِلْ الى خاتمة هذه العظَة. خَلَقَ المسيحُ كلّ شيء، الملائكة ورؤساء المَلائكة، السيادات والعَروش، لا لأنّ الآب كان يفتقر الى قدرة الخَلق، بل لأنه أراد أن يجعل ابنه يملك على الخلائق التي صنعها. كان هو حاضرًا فيه، يُرشده الى ما كان يحبّ خَلقَهُ، بدليل أنّ الابن الوحيد قال في تكريم أبيه: «لا يستطيع الابن أن يصنع شيئًا من عنده، إلاّ الذي رأى الآب قد صنعه، فما صنعه الآب يصنعه الابن على مثاله» (يو٥:١٩). وقال أيضًا : «إنَّ أبي لا يزال يعمل، وانا اعمل أيضًا» (يو٥:١٧). ليست هناك متناقضات في كل ما صنعه: «ما هو لي فهو لكَ، وما هو لكَ فهو لي» يقول الربّ في الإنجيل (يو١٧:١٠). ويمكن التأكّد من ذلك بوضوح في العهد القديم كما في العهد الجديد. لأن الذي قال: «لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا» (تك١:٢٦)، كان ، ولا شكّ، يتحدّث إلى شخص حاضر. وقد قال صاحب المزامير ذلك بوضوح أكثر: «إنّه قال فكوّن كلّ شيء، وأمَرَ فَخُلِقَت» (مز١٤٨:٥). إنَّ الآب الذي كان يأمر ويقول: وكان الابن يخلق كلّ شيء بأمره. وهذا ما قاله أيوب بشيء مستتر: «هو الباسط السماوات والسائر على متون البحر كأنه على الأرض الثابتة» (أيوب٩:٨)، ليعلن للذين يفهمون أنَّ الذي يسير على البحر هو ذاته الذي خلق السماوات من قَبل. وفي موضع آخر يقول الربّ لأيوب: «هل أنتَ الذي أخذتَ طينًا من الأرض فصنعت منه كائنًا حيًا، وعلّمته أن يتكلّم، ووضعته على الأرض ... ؟ ها انفتحت لك ابواب الموت خوفًا، أم ارتعد حرّاس الجحيم لمشاهدتك ؟ » (أيوب ٣٨:١٧). ليعلن أنَّ الذي نزل الى الجحيم لكثرة صلاحه، هو الذي في البدء صنع الإنسان من طين.

٢٤ ـ المجد للمسيح خالق الكون

فالمسيح إذن هو ابن اللّه الوحيد وخالق العالم. «فقد كان في العالم، وبه كان العالم» (يو١:١٠)، «وجاء الى بيته» كما يعلّمنا الإنجيل (يو ١:١١). لم يخلق المسيح الأشياء المنظورة فحسب، بل الأشياء غير المنظورة، وذلك بأمر الآب. يقول الرسول: «ففيه خُلِقَ كلّ شيء: ممّا في السموات ، وممّا في الأرض ، ما يُرَى وما لا يُرَى ، أأصحاب عرش كانوا أم سيادة أم رئاسة أم سلطة. كل شيء خُلِقَ به ولَهُ. كان قبل كلّ شيء، وبه قوام كلّ شيء» (كول ١:١٦–١٧). وحتى اذا تحدّثت عن الدهور، فيسوع المسيح هو صانعها بأمر الآب. «كلّمنا اللّه في هذه الأيام، وهي آخر الأيام، بلسان الابن الذي جعله وارثًا لكل شيء، وبه أنشأ العالمين» (عبر ١:٢). فله المجد والإكرام والقدرة، مع الآب والروح القدس، الآن والى أبد الدهور. آمين

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٧٨)

(ب) : مملكة يهوذا (المملكة الجنوبيّة)

يمكن أن نُقَسِّم مملكة يهوذا إلى أربع فترات متتالية هي:

الفترة الأولى:(٩٣١–٨٤٨ ق.م.)

إستمرت ٩٠ سنة حَكَمَ فيها أربعة ملوك هم: رحبعام، أبيا، آسّا، يهوشافاط.

رحبعام بن سليمان (٩٣١–٩١٤ ق.م.)

حينما اعتلى رحبعام العرش خَلَفًا لأبيه سليمان، كانت الحالة السياسية في المملكة غير مستقرّة، ومما زاد في التوتر والقَلق إنفصال مملكة إسرائيل، ولم تكن الحالة الدينية أفضل منها إذ تسرّبت العبادة الوثنية التي أدخلها سليمان إلى الشعب حتى بدأت المملكة تصطبغ بها على الرغم من إحتجاجات الأنبياء. لكن بانتشار عبادة البَعْل بصفة رسميّة في المملكة الشمالية المجاورة، أعطت الفرصة لتشجيع عبادتها ، وبناء المذابح في أماكن متفرّقة من البلاد، وقد تبعتها على التوّ حياة الفجور والرذائل الخُلُقيّة، واستمرّت طوال حُكم رحبعام، وامتدّت حتى حُكم خليفته أبيام.

وقد واجهت المملكة في السنة الخامسة من حُكم رحبعام ٩٢٤ ق.م. غزوًا مصريًا قام به شيشق (شيشنك الأوّل) (٩٤٥–٩٢٤ ق.م.) أوّل ملوك الأسرة الثانية والعشرين وهو من أصل ليبي، وغزا شيشق المملكتين، وقد انتهز فرصة هذا الضعف الذي صارتا فيه بسبب الإنقسام ؛ فَشَنَّ حملته لإضعافهما والسيّطرة على طُرق التجارة، إذ يعوقان أطماع مصرَ التوسعيّة للإمتداد بإمبراطوريتها في هذا الإتجاه، ويتضح من قصة الكتاب المقدّس (١مل١٤:٢١–٢٨) ، (٢ أخ ١٢:١–٢). أنَّ هدف المَلك المصري في الهجوم لم يكن مجرّد الحصول على تُحَف الهيكل وكنوز سليمان من الذّهب والفضّة والعاج وغيرها من التُحَف، بقدر ما كان هدفه الرئيسي هو تخريب أورشليم العاصمة المُدَعَّمة بالتحصينات والأسوار، لذا دفَعَ بكتيبة من أفضل الجنود في الجيش المصري قوامها ١٢٠٠٠ عربة حربيّة و٦٠٠٠ فارس، وتقدّم الجيش نحو المدن الحصينة في يهوذا، واقتحم غزّة وعقرون وبيت حورون، وبيت شمس وقرية يعاريم وجبعون، وهذه على بُعد أقل من ستة أميال إلى الشمال الشرقيّ من أورشليم، وحينما رأى رحبعام ملك يهوذا مدنه الحصينة وهي تتساقط أكوامًا محترقة، أتى إلى جبعون ليستبدل ثروة أبيه بسلام عاصمة المملكة قبلَ أنْ يتقدَّم الجنود المصريون ويدكّوا أورشليم، ولم تستطع تحصينات داود وسليمان من الأسوار الضخمة وأحدث وسائل الدفاع أو إجراءات رحبعام الدفاعيّة ، أن توقف الهزيمة أمام جيش مصرَ القَويّ، والذي اندفَعَ بشراسة يحطّم الأسوار في جازر ومجدّو مدن سليمان العظيمة، وإنْ كان الكتاب المقدّس لم يتحدث عن هذه المعارك، لكن حدوثها يفسّر تشتّت القوّات المسلّحة الضخمة التي كان قد جمعها سليمان. وَتَقَدَّم الجيش المصري وامتَدَّ التخريب إلى الشمال، فلم تَنجُ مدن إسرائيل من التدمير في شكيم وتَرصَة عاصمة الشمال وقتذاك، وشَمَلَ التخريب محنايم وبتوئيل وشرق الأردن ، وسقَطَت رحوب وبيت شآن وشونم، وإنْ كان المصريون حينما اقتحموا مجدّو أحرقوها بالنّار، لكنهم أعادوا بناءها لتكون قاعدة لحراسة طريق البحر الذي يمرّ خلال جبل الكرمل، وفي الجنوب استولوا على النقَب ودمّروا الحصون واستولوا على المستوطنات الزراعية، وبعد هذه الهزيمة الشنعاء لكلا المملكتين، اقتَحَمَ الجيش المصري أورشليم، واستولى على كنوز سليمان ونزَعَ ذهب الهيكل ، وفَرَضت مصر الجزية (١مل ١٤:٢٥) ؛ وفي طيبة (الأقْصُر) على جدران معبد **أمون رع** (الكرنك) يسجّل شيشق قائمة بأسماء ١٥٠ مدينة هزمها، وذَكَرَ ١٢ مدينة محصّنة بينها، وذَكَرَ تلك الغنايم التي استولى عليها في هذا الإنتصار الساحق، وفي اللوحات صُوَر للأسرى الإسرائيليين، وفي إحداها صورة للإله أمون يجرّ خلفه صفًا من هؤلاء الأسرى، وقد أظهرت أعمال التنقيب في تلك المدن آثار التدمير الهائل من الحريق وهدم الأسوار والبوابات وأنقاض المنازل والحوانيت، مما يُظهر توحّش الهجوم المصري.

وإن كان رحبعام قد عمل على إزدهار المملكة في بداية عهده فأقام الحصون، واجتذبت المملكة الكهنة واللاويين والمتدينين الفّارين من مملكة إسرائيل في الشمال بسبب رفضهم ومعارضتهم لعبادة البَعل التي أقامها يربعام في مملكته، لكن رحبعام سَمَحَ بوجود بعض العبادات الوثنيّة التي ورثها عن سليمان، كما أنّه تزوّج من نساء كُثْر، فكان له ١٨ إمرأة و ٦٠ سَرِيّة (٢ أخ١١:٥ ، ٢١) ، وخلَفه على العرش إبنه أبيّا والذي كان قائدًا بين إخوته ومن معكَة أمّه ابنة أبشالوم ، أحبَّ نساء أبيه.

هل تشحذ آلتك (هل تَسِنَّها)

تقدَّم شابٌ الى رئيس العمال الذين يقطعون الأشجار (الحطَّابين) يطلب أن يعمل معهم. قال له المعلم:

«فلنَرَ أولاً كيف ستقطع هذه الشجرة».؟

وتقدَّم الشّاب وقطع شجرة ضخمة بكل مهارة، بعد أن قطع جذعها من أسفل بالبلطة التي في يده.

وإذ أُعجِبَ به المعلم، قال له بتصميم:

«يمكنك ان تبدأ من يوم الاثنين».

وبدأ الشاب يعمل يوم الاثنين فالثلاثاء، فالاربعاء ،فالخميس. وفي مساء يوم الخميس تقدَّم رئيس العمال من الشابّ وقال له:

«يمكنك أن تقبض حسابك، وتنصرف» .

تعجب الشاب وسأل: ألا تُدفع الأجور في نهاية الأسبوع ؟

أجابه المعلم:

نعم هكذا ندفع عادة, لكنّنا سنصرفك اليوم لأنّنا وجدنا انك تراجعت من المركز الاول يوم الاثنين الى المركز الأخير الخميس من حيث عدد الاشجار التي قطعتها.

فاعترض الشاب قائلا لكني أعمل كثيرًا. انا أول من يصل الى العمل . وأعمل حتى في وقت الراحة المخصّصة لشرب القهوة.

لما رأى رئيس العمال أن الشاب جديّ لا يهمل العمل, فكر قليلاً ثم سأله :

هل كنت تشحذ (أي تسنّ) الفأس التي تقطع بها الأشجار يومًا بعد يوم ؟

فأجاب الشاب :

«لا يا سيّدي, كنت أعمل طول الوقت دون توقف وهوادة، لأربح مقابل الوقت الإضافي »!.

إنّ حياتنا هي مثل هذا الشّاب. فكثيرًا ما ننشغل جدًا، لدرجة أنّنا لا نسمح لوقتٍ «نشحذ فيه آلاتنا» ، أي نفوسنا.

في عالم اليوم، ينشغل الناس أكثر من الزمان السابق، ولكنهم ليسوا سعداء مثل أُناس الزمان السابق. لماذا ؟ هل ربما لأنّنا نسينا أن نجعل نفوسنا دائمًا حادّةً مبريَّةً ؟

ليس العمل والنشاط عيبًا أو خطأً. ولكن اللّه لا يريدنا أن نظلّ مشغولين إلى حدٍّ أن ننسى الأمور الهامة في حياتنا حقًا، مثل أن نجد وقتًا لنصلّي، أو نقرأ كلمة الحياة في الإنجيل، أو نخرج إلى الجبل مع المسيح لنختلي ونصلّي (متى ١٤:٢٣ ، مر٦:٤٦ ، لو ٦:١٢)، أو حتى نخلد إلى خلوة في مخدعنا لعلّنا نسمع صوت اللّه الخفيض لنا مثل إيليا (١مل١٩:١٢).

كلّنا محتاجون أن نهدأ، ونفكّر، ونتأمّل، لنتعلّم وننمو،

ونسترجع شركتنا مع اللّه في المسيح. فإنْ لم نجد وقتًا لنشحذ آلاتنا، أي نفوسنا، فسوف نصبح فاترين غير مؤثِّرين ، ونتراجع إلى الوراء ونخسر في النهاية حياتنا مع اللّه، حتى لو ربحنا أموال العالم كلّه:

+ « ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه؟ أو ماذا يُعطي الإنسان فداءً عن نفسه» (متى ١٦:٢٦) ؟.

ويقول الشاعر في هذا المضمار:

وما الجودُ مِن فَقرِ الرّجالِ ولا الغِنى
ولكنّ ذا خيمُ الرّجالِ وخِيرُها
فكمْ طامعٍ في حاجةٍ لنْ ينالَها
وكم يائسٍ منها أتاهُ بَشيرُها
ونَفسكَ أكرِمْ عن أمورٍ كثيرةٍ
فما لَكَ نفسٌ بعدَها تَستَعيرُها
فمَنْ يَتَّبعْ ما يُعجِبُ النفسَ لم يَزلْ
مُطيعًا لها في فعلِ شيءٍ يضيرُها
ولا تَقرَبِ الأمرَ الحرامَ فإنّهُ
حلاوتُه تَفنَى ويَبقَى مريرَها
ولا تُلهِكَ الدُّنيا عن الحَقِّ واعْتَمِدْ
لآخِرَةٍ لا بدَّ أنْ ستصيرُها

الخيمُ : الطبع والأصل، والخِيرُ: الشرف والأصل